

أدب المهالبة: القيم الأخلاقية، والخصائص الفنية

أ. عبد الله بن سعيد الحجري

المشرف الأول لمادة اللغة العربية بشمال الشرقية، وزارة التربية والتعليم

abdullah.alhajri3@moe.om

### المخلص:

تعنى الورقة الحالية بجمع ما وجد في كتب الأدب القديمة من أقوال ومعان تُعزى إلى آل المهلب بن أبي صفرة في حال السلم والحرب. ومن تلك الأقوال وصية المهلب لبنيه، ورسائله إلى الحجاج، وخطبة يزيد بواسط، وخطبة كعب الأشقري أمام الحجاج التي وصف فيها أبناء المهلب. ويجمع البحث ما في بطون الكتب التي عُنيت بتراث المهالبة؛ لدراستها وتحليلها، ولفت نظر الباحثين إلى استقصائها ودراستها. ومن الخصائص الفنية التي اتسمت بها تلك النصوص في مجملها صدق العاطفة وعمقها واستمراريتها وسموها، وموضوعية الأفكار والمعاني وعقليتها، أما الخيال فيظهر في بعضها فقط، ويغلب عليها الإنشائي، جزل الألفاظ واضح العبارات.

الكلمات المفتاحية: أدب المهالبة. وصية المهلب. الخصائص الفنية. القيم الأخلاقية.

## المقدمة:

إن المطالع في كتب الأدب القديمة ليثده ما يجده ميثوثا في صفحاتها من أقوال رائقة، ومعان عجيبة، تعزى إلى آل المهلب بن أبي صفرة في حالي السلم والحرب، وهي مع جزالة لفظها وحسن سبكها تفيض بالحكمة، وتتفجر بالقيم الأخلاقية النبيلة؛ كالشجاعة، والحزم، والأنفة، والرجولة، والجود، وتنم عن كبر نفوسهم، وعلو همهم، وما اكتسبوه من حُكم من سبقهم، وخبرتهم في الحياة التي ذاقوا حلوها ومرها، تابعين ومتبوعين، أمراء وقادة جيوش، وقد جمع الباحث تلك الأقوال من بطون تلك الكتب، مثل: كتاب البيان والتبيين للجاحظ، ومحاضرات الأدباء للأصفهاني، ونثر الدر للأبي، وأدب الكتاب للصولي، وغيرها؛ لما في جمعها ما يعين على دراستها، ويلفت نظر الباحثين إلى استقصائها ودراستها.

## أقوالهم السائرة:

جمعت كتب الأدب خاصة، وبعض كتب اللغة ودواوين شعراء عصر المهالبة الكثير من أقوال المهالبة السائرة، التي تناقلتها الألسن لما اشتملت عليه من حكم، وما تحلت به من الحث على مكارم الأخلاق وجميل الصفات، وما نتجت عنه من علو الهمة والسعي إلى المعالي، ويثبت هذا القسم أهم ما ورد من أقوالهم، وهي:

نزع رجل المهلب فأرَبى عليه<sup>(1)</sup>، فقل له: لم سكتَ عنه؟ قال: استحبيبت من سَخف المسابَّة ورغبت عن غَلبة اللئام، وكان إذا سبني تهلل وجهه واستنار لونه وتبجحت نفسه، فإن غلب فبفضل القحَّة، ونبذ المروءة، وخلع رِبفة الحياء، وقلة الاكتراث بسوء الثناء.<sup>(2)</sup>

وقال المهلب يا بَنِي تَبانلوا تحابُّوا، وإن بَنِي الأم يَخْتلفون فكيف بنو العَلات؟ إن البرَّ يَنسأ في الأجل ويزيد في العدد، وإن القطيعة تورث القلَّة وتعقب النار بعد الذلَّة، واتقوا زلة اللسان فإن الرجل تزل رجله فينتعش، ويزل لسانه فيهلك، وعليكم في الحرب بالمكيدة فإنها أبلغ من النجدة؛ فإن القتال إذا وقع القضاء، فإن ظفر فقد سعد، وإن ظُفر به لم يقولوا فرط.<sup>(3)</sup>

(1) أي زاد عليه.

(2) محاضرات الأدباء ج 1 ص 489.

(3) البيان والتبيين ج 2 ص 188.

قال المهلب: ليس شيء أنمى<sup>(4)</sup> من بقية السيف. فوجد الناس تصديق قوله فيما نال ولده من السيف وصار فيهم من النماء.<sup>(5)</sup>

قال المهلب بن أبي صفرة: عجبت لمن يشتري العبيد بماله كيف لا يشتري الأحرار بفعاله؟<sup>(6)</sup>

قال المهلب: يعجبني من الرجل الكريم خصلتان: أن أرى عقله زائداً على لسانه، ولا يعجبني أن أرى لسانه زائداً على عقله.<sup>(7)</sup>

سمع المهلب رجلاً يسبّ آخر، فقال: اكف فوالله لا ينقى فوك من سهكها<sup>(8)</sup> أبداً.<sup>(9)</sup>

وكان يقول: أدنى أخلاق الشريف كتمان السرّ، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسرّ إليه.<sup>(10)</sup>

وقيل للمهلب في بعض حروبه: لو نمت. فقال: إن صاحب الحرب إذا نام نام جدّه.

وقال له رجل: إن لي حاجة لا تزرؤك في مالك، ولا تتكذك في نفسك، قال: والله لا قضيتها. قال: ولم؟ قال: لأن مثلي لا يسأل مثلها.<sup>(11)</sup>

وذكرت امرأة عند هند بنت المهلب بجمال، فقالت هند: ما تحلين النساء بحلية أحسن من لبّ ظاهر تحته أدب كامن.<sup>(12)</sup>

وقال المهلب لبنيه: إذا وليتم فليئوا للمحسن، واشتدوا على المريب، فإن الناس للسلطان أهيب منهم للقرآن.

وقال كفى بالمرء مسألة أن يغدو عليك ويروح.

ومر بقوم من ربيعة في مجلس لهم، فقال رجل من القوم: هذا سيّد الأزد، قيمته خمسمائة درهم. فسمعه المهلب، فأرسل إليه بخمسمائة درهم. قال: دُونك يا ابن قيمة عمك، ولو كنت زدت فيها لزدتك.

(4) من النماء أي الزيادة، يقصد أن القوم الذين يكثر فيهم القتل ظلما يزيدون عدداً.

(5) البيان والتبيين، ج1، ص370.

(6) من غاب عنه المطرب للثعالبي، ص110.

(7) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، ج26، ص45.

(8) السهك: الريح الكريهة.

(9) محاضرات الأدباء، ج1، ص465.

(10) نثر الدر للأبي، ج5، ص46.

(11) المصدر السابق، ج5، ص48.

(12) لباب الآداب لأسامة بن منقذ، ج1، ص229.

قيل للمهلب: مَا النُّبْلُ؟ قَالَ أَنْ يَخْرُجَ الرَّجُلُ مِنْ مَنْزِلِهِ وَحَدَهُ وَيَعُودَ فِي جَمَاعَةٍ. وَقَالَ: مَا رَأَيْتُ الرِّجَالَ تَضِيقُ قُلُوبَهَا عِنْدَ شَيْءٍ كَمَا تَضِيقُ عِنْدَ السَّرِّ.

قَالَ بَعْضُهُمْ: مَرَرْتُ عَلَى هِنْدَ بِنْتِ الْمُهَلَّبِ، فَرَأَيْتُ بِيَدِهَا مَغْزَلًا تَغْزُلُ بِهِ، فَقُلْتُ لَهَا: تَغْزُلِينَ؟! قَالَتْ: نَعَمْ سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُهُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "أَعْظَمُكُمْ أَجْرًا أَطْوَلُكُمْ طَاقَةً، وَهُوَ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيَذْهَبُ بِحَدِيثِ النَّفْسِ". (13)

كانت هند بنت المهلب تقول: إذا رأيت النعمة مستبذرة (14) فبادروها بالشكر قبل حلول الزوال. (15)

قيل للمهلب: بِمِ ظَفَرْتِ؟ قَالَ: بِطَاعَةِ الْحَزْمِ وَعَصِيَانِ الْهَوَى. (16)

قال المهلب بن أبي صفرة: خَيْرُ مَنَاقِبِ الْمُلُوكِ الْعَفْوُ. (17)

وكتب الحجاج إلى المهلب يُعَجِّلُهُ فِي حَرْبِ الْأَزَارِقَةِ وَيُسَمِّعُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْمُهَلَّبُ: "إِنَّ الْبَلَاءَ كُلَّ الْبَلَاءِ أَوْ يَكُونُ الرَّأْيُ لِمَنْ يَمْلِكُهُ دُونَ مَنْ يَبْصُرُهُ". (18)

من كلام حبيب بن المهلب لبنيه: (لَا يَقْعُدَنَّ أَحَدُكُمْ فِي السُّوقِ، فَإِنَّ كُنْتُمْ لَا بَدَّ فَاعِلِينَ، فإِلَى زَرَادٍ أَوْ سَرَّاجٍ أَوْ وَرَاقٍ). (19)

وَعَنْ يَزِيدَ قَالَ: مَنْ عُرِفَ بِالصِّدْقِ، جَازَ كَذِبُهُ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ، لَمْ يَجْزُ صِدْقُهُ.

وَقِيلَ لَهُ: أَلَا تُنْشِئُ لَكَ دَارًا؟ قَالَ: لَا، إِنْ كُنْتُ مُتَوَلِّيًا، فَدَارُ الْإِمَارَةِ، وَإِنْ كُنْتُ مَعْزُولًا، فَالسَّجْنُ. (20)

وروي أَنَّ فَتَى مِنَ الْأَزْدِ دَفَعَ إِلَى الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صَفْرَةَ سِيفًا لَهُ وَقَالَ: يَا عَمَّ! كَيْفَ تَرَى سِيفِي هَذَا؟ فَقَالَ لَهُ الْمُهَلَّبُ: سِيفُكَ جَيِّدٌ إِلَّا أَنَّهُ قَصِيرٌ، فَقَالَ لَهُ الْفَتَى: أَطْوَلُهُ يَا عَمَّ بِخَطْوِي، فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ الْمَشِي

(13) نثر الدر للأبي، ج4، ص71.

(14) لعلها تامة كالقمر وهو بدر.

(15) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص316.

(16) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص811.

(17) بهجة المجالس وأنس المجالس، ص371.

(18) البيان والتبيين، ج1، ص253.

(19) الأعلام للزركلي، ج2، ص166، يقصد بائع دروع أو سروج أو ورق.

(20) سير أعلام النبلاء، ج4، ص504.

إلى الصين أو إلى أقصى أذربيجان على أنياب الأفاعي أسهل من تلك الخطوة. لم يقل المهلب هذا جبناً، بل على ما توجب الصورة؛ إذ كانت تلك الخطوة قرينة الموت. (21)

ويقال: إن المهلب لما توسم النجابة في ابنه يزيد وهو صغير أراد أن يختبره، فقال له: يا بني ما أشد البلاء؟ قال: يا أبتِ معادة العقلاء، ثم قال: أقلني، قال: قد أقلتك فقل: فقال: أشد البلاء تأمير اللؤماء على الكرماء. ثم قال: أقلني قال: قد أقلتك فقل: فقال: أشد البلاء معادة العقلاء ومسألة البخلاء وتأمر اللؤماء على الكرماء، فقال المهلب: والله يا بني ما يسرني بقولك مقول لقمان، ولا يعدل عندي بفاؤك ملك سليمان. (22)

يقال أهوت إلى يزيد بن المهلب حية فلم يتوقَّها، فقال له أبوه ضيغت الحزم من حيث حفظت الشجاعة. (23)

وقال المهلب بن أبي صفرة واسم أبي صفرة ظالم بن سراق: أناة في عواقبها درك خير من عجلة في عواقبها فَوَّت. (24)

حدثني أحمد بن يزيد قال، حدثنا أبي عن عمه حبيب بن المهلب قال: ما رأيت قطُّ رجلاً مستلماً في حربٍ إلا كان عندي بمنزلة رجلين اثنين، ولا رأيت رجلين حاسرين في حربٍ قط إلا كانا عندي بمنزلة رجلٍ واحدٍ. (25)

قال يزيد بن المهلب: الكذاب يخيف نفسه وهو آمن. (26)

قيل ليزيد بن المهلب: بم نلت هذا الأمر؟ قال: بالعلم؛ قالوا: فقد رأينا من هو أعلم منك لم ينل ما نلت؛ قال: ذلك علمٌ أخطئ به مواضعه، وهذا علمٌ أصيب به فرصته. (27)

قال المهلب لبنيه: إياكم والعينة (28)، فإنها لعينةٌ، وقد تعينت مرةً بأربعمائة درهمٍ، فما تخلصت منها إلا بولاية البصرة. (29)

قال يزيد بن المهلب: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله، قيل: ولم أيها الأمير؟ قال: أكره عادة العجز. (30)

(21) الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين، ج1، ص43.

(22) المحاضرات في اللغة والأدب، ص247.

(23) غرر الخصائص الواضحة، ص436.

(24) المصدر نفسه، ص442.

(25) أخبار أبي تمام، ص146.

(26) البصائر والذخائر، ج1، ص35.

(27) المصدر السابق، ج7، ص176.

(28) الربا.

(29) التمثيل والمحاضرة، ص434.

(30) التذكرة الحمديونية، ج2، ص30.

وقال المهلب: ما ضاقت صدور الرجال عن شيء كما تضيق عن السر. (31)

وقال المهلب بن أبي صفرة: ما السيف الصارم في يد الرجل الشجاع بأعزَّ له من الصدق. (32)

قال المهلب بن أبي صفرة: من ضاق قلبه اتسع لسانه. (33)

يزيد بن المهلب: الحياة أحب شيء إلى الإنسان، والثناء الحسن أحب إليّ من الحياة، ولو أنني أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن يكون لي أذن أسمع بها ما يقال غداً إذا مت كريماً. (34)

قال المهلب بن أبي صفرة: الحسد شهابٌ لا يبالي من أصاب، وعلى من وقع. (35)

بلغ سعدا (36) شيء فعله المهلب في العدو، والمهلب يومئذ فتى، فقال سعد: اللهم لا تره ذلاً! فيرون أن الذي ناله المهلب بتلك الدعوة. (37)

قيل ليزيد بن المهلب: إنك لتلقي نفسك في المهالك، قال: إن لم آت الموت مسترسلاً أتاني مستعجلاً، إنني لست آتي الموت من حبه وإنما آتاه من بغضه، ثم تمثّل: [من الطويل] (38)

تأخرت أسـتـبقي الحـيـاة فـلم أجـد      لـنـفـسـي حـيـاة مـثـل أن أنقـدـمـاً

وسأل يزيد بن المهلب رجلاً من أصحابه حاجةً وذكر له خلة، فقال: أوجّه بها إليك، ثم حمل إليه خمسين ألف درهم، ثم كتب إليه: قد وجهت إليك بخمسين ألف درهم، لم أذكرها تمنناً، ولم أدع ذكرها تجبراً، ولم أقطع بها لك رجاء، ولم أرد بها منك جزاء.

وقيل ليزيد: ما أحسن ما مُدحت به؟ قال: قول زياد الأعجم. (39)

فَنَمَى زَادَهُ السُّلْطَانُ فِي الْحَمْدِ رَغْبَةً      إِذَا غَيَّرَ السُّلْطَانُ كُلَّ خَائِلٍ

(31) المحاسن والأضداد ص49.

(32) الموشى ص41.

(33) الموشى ص46.

(34) ربيع الأبرار ج5 ص103.

(35) رسائل الجاحظ ج1 ص345.

(36) هو ابن أبي وقاص، وكان يسمى المستجاب الدعوة. نثر الدر ج2 ص81.

(37) البيان والتبيين ج3 ص278.

(38) البصائر والذخائر ج1 ص182.

(39) الحيوان ج7 ص88.

قالت خيرة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب للمهلب: إذا انصرفت من الجمعة فأحب أن تمر بأهلي فقال: إن أخاك أحمق، قالت: فأحب أن تمر بهم. فجاء وأخوها جالس فلم يوسع له، فجلس المهلب ناحية ثم أقبل عليه وقال: ما فعل ابن عمك فلان؟ قال حاضر، قال: أرسل إليه، ففعل، فلما نظر إلى المهلب غير مرفوع المجلس قال: يا ابن اللخناء، المهلب جالس ناحية وأنت في صدر المجلس؟! وواثبه، فتركه المهلب وانصرف، فقالت له خيرة: أمرت بأهلي؟ قال: نعم، وتركت أخاك الأحمق يُضرب. (40)

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب: أكره منك ثلاثاً؛ قال: وما هي؟ قال: طيبك يُرى؛ وطيب الرجال توجد له ريحة ولا يُرى لونه، وخُفُّك أبيض؛ وحقُّ الخف أن يخالف لونه لون الثياب، وتكثر مس لحيتك. فغير الطيب والخف، ولم يدع مس لحيته، وقال: ما رأيت عاقلاً يلم به أمر إلا كان مُعَوِّله على لحيته. (41)

### خطبهم:

لما كان المهالبة المشهورون أصحاب إمارات، وولايات، وقادة جند، كان لا بد من وجود خطب لهم، ويشتمل هذا القسم على خطبتين من خطبهم وهما يدلان على فصاحتهم، وحسن خطابهم للناس، ورجاحة عقولهم:

لما استخلف المهلبُ ابنه المغيرة على حَرَبِ الخوارج، وعاد هو إلى مُصْعَبِ بن الزبير، جمع الناس فقال لهم: إنِّي قد استخلفتُ عليكم المغيرة، وهو أبو صغيركم رقةً ورحمةً، وابنُ كبيركم طاعة وبراً وتبجيلاً، وأخو مثله مواساةً ومناصحةً؛ فاتحسّن له طاعتكم، وليلنّ له جانبكم، فوالله ما أردتُ صواباً قطُّ إلا سبقتني إليه. (42)

خطبَ يزيدُ بن المهلب بواسط فقال: يا أهل العراق، يا أصحاب السبق والسباق، ومكارم الأخلاق، إن أهل الشام في أفواهم لقمةٌ دَسْمَةٌ قد زببت (43) لها الأشداق، وقاموا لها على ساق، وهم غير تاركها لكم بالمرءِ والجدال، فالبسوا لهم جلودَ النمور. (44)

(40) التذكرة الحمدونية ج 3 ص 254.

(41) ربيع الأبرار ج 2 ص 188.

(42) نثر الدر للأبي ج 5 ص 46.

(43) أخذها من قولهم: الزببتان في الشدقين؛ يقال: تكلم فلان حتى زببت شده، أي خرج الزبب عليهما.

(44) نثر الدر للأبي ج 5 ص 48.

## رسائلهم:

لا بد لمثلهم أن يكون لهم مراسلات إلى من فوقهم من المسؤولين، وإلى من دونهم من العمال، وقد اخترت من مراسلاتهم ما يأتي:

كتب المهلب: أما بعد، فإنه لا يوهن الإسلام خروج من خرج منه، ولا يعيبه إلحاد من ألد فيه، ومدعوه كثير ومصيبوه قليل، وليس كل من يقاتل عنه من أهله، ولا هو لكل من يقاتل به. وقد كان هذا العدو أصاب في إخوانكم مصائب أطمعتهم فيكم، فلما استوقد الحرب بنا وبهم، جاءنا القضاء بأمر جاوزت النعمة فيه الأمل، فأصبح ذلك العدو بعد ذلك دريئة رماحنا، وضرائب سيوفنا، ونحن نرجو أن يكون أجر هذه النعمة كافلها، فاحمدوا الله فإن حمده يُتم النعم، وأشكروه فإن شكره يوجب المزيد.<sup>(45)</sup>

ووجه الحجاج إليه الجراح بن عبدالله يستبطنه في مناخزة القوم. وكتب إليه: أما بعد، فإنك جبيت الخراج بالعلل، وتحصنت بالخذاق، وطاولت القوم وأنت أعز ناصراً، وأكثر عدداً، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جنباً، ولكنك اتخذتهم أكلاً، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم. فناجزهم، وإلا أنكرتني. والسلام.

فقال المهلب للجراح: يا أبا عقبة. والله ما تركت حيلة إلا احتلتها، ولا مكيدة إلا أعملتها، وما العجب من إبطاء النصر، وتراخي الظفر، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره.

ثم ناهضهم ثلاثة أيام يُغاديهم القتال، ولا يزالون كذلك إلى العصر، حتى قال الجراح: قد أعذرت وينصرف أصحابه وبهم قرح، وبالخوارج قرح وقتل.

وكتب المهلب إلى الحجاج: أتاني كتابك: تستبطنني في لقاء القوم، على أنك لا تُظن بي معصية ولا جنباً. وقد عاتبنتي مُعاتبه الجبان، وأوعدتني وعيد العاصي. فسل الجراح. والسلام.

وكتب إليه الحجاج: أما بعد، فإنك تتراخي عن الحرب حتى يأتيك رُسلي فيرجعوا بُعدرك، وذلك أنك تُمسك حتى تبرأ الجراح، وتُنسي القتلى، ويجم الناس، تلقاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل، وألم الجراح. ولو كنت تلقاهم بذلك الجِد لكان الداء قد حُسم، والقرن قد قُصم. ولعمري ما أنت والقوم سواء؛ لأن من ورائك رجالاً، وأمامك أموالاً، وليس للقوم إلا ما معهم، ولا يدرك الوجيف بالدبيب ولا الظفر بالتعذير.

(45) البصائر والذخائر ج4 ص132.



فكتب المهلب إليه: أما بعدُ. فأني لم أعط رسلك على قول الحقّ أجراً، ولم أحتجّ منهم مع الشهادة إلى تلقين. ذكرت أنني أجمُّ القوم، ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب، ويحتال فيها المغلوب، وذكرت أن في الجمام ما يُنسي القتلى، ويبرئ الجراح. وهيئات أن يُنسى ما بيننا وبينهم، تأبى ذلك قتلى لم تُجنّ، وقروح لم تُتقرف. ونحن والقوم على حالة وهم يرقبون منا حالات، وإن طمَعوا حاربوا، وإن ملّوا وقفوا، وإن يئسوا انصرفوا، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا، ونحترز إذا وقفوا، ونطلب إذا هربوا، فإن تركتني والرأي كان القرن مفصوماً، والداء - بإذن الله - محسوماً، وإن أعجلتني لم أطعك، ولم أعص، وجعلت وجهي إلى بابك وأنا أعوذ بالله من سخط الله عزّ وجل ومقت الناس!

وكان الحجاج كتب إلى المهلب وهو في وجه الخوارج: أما بعدُ، فإنه بلغني أنك قد أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو. وإني وليّك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي، وعباد بن حصين الحَبطي، واخترتُك وأنت من أهل عمان، ثم رجل من الأزدي. فألقهم يوم كذا في مكان كذا، وإلا أشرعتُ إليك صدر الرماح فشاور بنيهِ، فقالوا: إنه أميرٌ فلا تغلظ عليه في الجواب.

فأجابه المهلب: ورد عليّ كتابك، تزعم أنني أقبلت على جباية الخراج، وتركت قتال العدو. ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز. وزعمت أنك وليّتي، وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم وعباد بن حصين، ولو وليّتهما لكانا مُستحقّين لذلك في فضلهما، وغنائهما، وبطشهما. وأنت اخترتني - وأنا رجلٌ من الأزدي - ولعمري إن شراً من الأزدي لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن. وزعمت أنني إن لم ألقهم في يوم كذا أشرعتُ إلي صدر الرُمح. فلو فعلت لقلبتُ إليك ظهْر المِجَنّ، والسلام.<sup>(46)</sup>

لما ظفر المهلب بالخوارج وفرغ من أمرهم قال الحجاج: الآن يرد كتاب المهلب طويلاً بوصفه، جامعاً لوصف يشرح أحواله، وإنه لحقيق بكل وصف، وأهل لكل مدح. قال فورده كتابه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الكافيء بالإسلام فقد ما سواه، المعجل النعمة لمن بغاه، الذي يزيد من شكره، ويرزق من كفره.

أما بعد، فقد كان من أمرنا ما أغنت جملة عن تفصيله. وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حالتين مختلفتين: يسرنا منهم أكثر مما يسوؤنا، ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم؛ على شدة شوكتهم، واجتماع كلمتهم، وانزعاج القلوب لمخافتهم؛ حتى نام بذكرهم الرضيع، وأصم لخوفهم السميع. فانتهزت منهم الفرصة عند إمكانها، بعد أن تنظرت وقت إبّانها؛ واستدعى النهل علله، وبلغ الكتاب أجله، فقطع دابر القوم الذين ظلموا

(46) نثر الدر للآبي ج 5 ص 45.



يا بني، ثيابكم على غيركم أجملُ منها عليكم، ودوابُّكم تحت غيركم أجملُ منها تحتكم.

يا بني، اجْبُوا المعروف، وأنكروا المنكر واجتنبوه؛ وآثروا الجود على البخل؛ واصطنعوا العرب وأكرمواهم؛ فإنَّ العربيَّ تَعَدُّ العِدَّةَ فيموت دونك، ويشكر لك، فكيف بالصنيعةِ إذا وصلت إليه في احتمالها لها وشكره، والوفاء منه لصاحبها؟

وأدوا حق الله -تعالى- عليكم؛ فإنني قد أبلغت إليكم في وصيتي، واتخذت الله حجة عليكم". (49)

### شعرهم:

روي لبعض المهالبة شيء من الشعر، منه ما يأتي:

قال المفضل بن المهلب: من الطويل (50)

هل الجود إلا أن تجود بأنفس  
ومن هَرَّ (51) أطراف القنا خشية الردى  
وما هي إلا رقدة تورث العلى  
على كل ماضي الشفرتين قضيب  
فليس لحمـد صالح بكسـوب  
لرَهْطـك ما حنـت روائـم نيب

وقال أبو الفرج بن الجوزي سمع المهلب فتى يتغنى في جارية له، فقال المهلب:

لعمري إنني للمحبين راحم  
سأجمع منكم شمل ودّ مبـدّد  
وإنني ببـر العاشـقين حقيـق  
وإنني بما قد ترجـوان خليـق

ثم وهبها له ومعها خمسة آلاف دينار (52)

أبو عُبَيْنة محمّد بن أبي عُيَينة بن المهلب:

(49) لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص29.

(50) التذكرة الحمونية ج2 ص59.

(51) كره.

(52) ديوان الصبابة ص60.

من غرره المستظرفة قوله:

فالروحُ في غربةٍ والجسمُ في وطنٍ  
لا روحَ فيهِ، ولي روحٌ بلا بدنٍ

جسْمي معي غير أن الروح عندكم  
فليعجب الناس مني أن لي بدنًا

وقوله:

ولا خيرَ فيمن لا يدومُ له عهدُ  
له نضرة تبقى إذا ما انقضى الوردُ

أرى عهدَه كالوردِ ليسَ بدائمٍ  
وعهدي لها كالأسحسناً وبهجةً

وقوله:

وأنت جرادٌ لست تُبقي ولا تذرُ  
وأنت تعفّي دائماً ذلك الأثرُ

أبوك لنا غيتَ نعيش بسأيه  
له أثرٌ في كل عامٍ يسرُّنا

ومن ملحه قوله: ولأشليلين على نعاك ذبيبي (53)

أخوه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة من قلائده الفاخرة قوله:

إذا نزلت بي خطّة لا أشاؤها  
كرامٍ رجبتُ أمراً فخاب رجاؤها  
تؤوبٌ وفيها ماؤها وحياؤها

هو الصّبرُ والتسليمُ لله والرضا  
إذا نحنُ أبتنا سالمين بأنفسِ  
فأنفسنا خيرُ الغنيمة إنهما

وقوله أيضاً:

فتهونٌ غيرَ شماتةِ الأعداءِ

كل المصائبِ قد تمرُّ على الفتى

وقوله في الهجاء:

مَا كُنْتُ إِلَّا كَأَحْمَ مَيَّتٍ دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ<sup>(54)</sup>

ما قيل فيهم شعرا:

من الطبيعي أن يكثر الشعراء من مديح آل المهلب؛ فإلها تفتح اللها، وقد رويت عنهم الأعاجيب في الجود، وقيلت فيهم أشعار كثيرة جودتها شدة المنافسة، وكثرة الهبات، إضافة إلى إعجاب بعض الشعراء بهم، أو افتخارهم بهم، ومن تلك الأشعار:

قال ابن دريد في مقصورته: (55)

وقد سما قبلي يزيد طالباً  
فاعترضت دون التبي رام وقد  
شأو العلى فما وهى ولا ونى  
جَدَّ بِهِ الْجِدُّ الْهُيْمُ الْأَرْبَى

قال الفرزدق: (56)

لَأُمِّ دَحْنِ بَنِي الْمُهَلَّبِ مَدْحَةٌ  
مِثْلَ النَّجُومِ، أَمَامَهَا قَمَرٌ لَهَا  
وَرِثُوا الطَّعَانَ عَنِ الْمُهَلَّبِ وَالْقِرَى  
أَمَّا الْبُنُونَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُورْثُوا  
كُلَّ الْمَكَارِمِ عَنِ يَدَيْهِ تَقَسَّمُوا  
كَأَنَّ الْمُهَلَّبِ لِلْعِرَاقِ سَكِينَةٌ  
كَمْ مِنْ غِنَى فَتَحَ الْإِلَهُ لَهُمْ بِهِ

(54) لباب الآداب للثعالبي ص159.

(55) ديوانه ص162.

(56) ديوانه ص265 وما بعدها.

وَالنَّبِيلُ مُلْجَمَةٌ بِكُلِّ مَحْرَجٍ  
أَمَّا يَزِيدُ، فَإِنَّهُ تَأْبَى لَهُ  
وَرَادَةُ شُعْبِ الْمَدِينَةِ بِالْقَلْبِ  
شُعْبِ السُّوْتَيْنِ بِكُلِّ جَائِشَةٍ لَهَا  
وَإِذَا النَّفْسُ جَشَانٌ طَامِنٌ جَاشَهَا  
إِنِّي رَأَيْتُ يَزِيدَ عِنْدَ شَبَابِهِ  
مَلِكًا عَلَيْهِ مَهَابَةُ الْمَلِكِ التَّقِي  
وَإِذَا الرَّجُلُ رَأَى يَزِيدَ رَأَى  
لَأَعْرَى يَنْجَابَ الظَّلَامِ لَوَجْهِهِ  
أَيَزِيدُ إِنَّكَ لِلْمُهَابِ أَدْرَكَتْ  
مَا مِنْ يَدِي رَجُلٍ أَحَقَّ بِمَا أَتَى  
مِنْ سَاعِدَيْنِ يَزِيدٍ يَدِ يَدِ زَنْدِهِ  
وَأَلُو أَنْهَاهَا وَزَنْتُ شَمَامَ بِحُلْمِهِ  
وَلَقَدْ رَجَعْتُ وَإِنْ فَارِسَ كُلِّهَا  
فَقَرَكُمُتْ أَخُوفَهَا وَإِنْ طَرِيقَهَا  
أَمَّا الْعِرَاقُ فَلَمْ يَكُنْ يُرْجَى بِهِ  
فَجَمَعْتُ بَعْدَ تَفْرِقِ أَجْنَادِهِ  
وَأَلَيْتُ زَلَنَ بِجِيلِ جَلِيلَانَ الَّذِي  
جَاشَ يَسِيرُ إِلَيْهِ مُلْتَمِسَ الْقِرَى  
لِحَبِ يَضِيْقُ بِهِ الْفَضَاءُ إِذَا غَدَا  
فِيهِ قَبَائِلُ مِنْ دَوِي يَمِينِ لَهُ  
وَأَلَيْتُ سَلِمَتَ لَتَعْطِفَنَّ صُورَهَا  
حَتَّى يَرَى رَثِيْبَ لَمَنْهَا غَارَةً  
وَطَيْتُ حِيَادَ يَزِيدَ كَلَّ مَدِينَةَ  
شُعْبًا مَسْؤَمَةً، عَلَى أَكْتَاْفِهَا  
مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ

مِنْ رَجُلٍ خَاصِ بَةِ مِنَ الْأَوْتَارِ  
نَفْسٌ مُوْطَأَةٌ عَلَى الْمِقْدَارِ  
فَيَدْرُكُ لِمُعَانِدٍ نَعَارِ  
نَفْسٌ يَجِيْشُ فَمَاهُ بِالْمِسْ بَارِ  
تَقِيَّةً بِهَا لِحِمَايَةِ الْأَدْبَارِ  
أَلَيْتُ النَّقِي، وَمَهَابَةَ الْجَبَّارِ  
فَقَرُّ التَّمَامِ بِهِ وَشَمْسُ نَهَارِ  
خُضُّعِ الرَّقَابِ نَوَاكِسِ الْأَبْصَارِ  
وَبِهِ النَّفْسُ يَفْعَلُ كَلَّ قَرَارِ  
كَفَّكَ خَيْرَ خَلَائِقِ الْأَخْيَارِ  
مِنْ مَكْرَمَاتِ عَظْمَائِمِ الْأَخْطَارِ  
كَفَّاهُمَا وَأَشَدَّ عَقْدِ جَوَارِ  
لَأَمَّا لِكُلِّ مُقِيْمَةٍ خَضُّ جَارِ  
مِنْ كُرْدِهِمَا لِحَوَائِفِ الْمُرَارِ  
أَلَيْتُ وَزُهُ النَّبْطِ يُّ بِالْفِنْطَارِ  
حَتَّى رَجَعْتُ، عَوَاقِبُ الْأَطْهَارِ  
وَأَقَمْتُ مَيْلَ بِنَائِهِ الْمُنْهَارِ  
تَرَكَ الْبَحْيِرَةَ، مُحْصَدَ الْأُمُرَارِ  
عَصَبًا بِكُلِّ مَسْؤَمِ جَرَارِ  
وَأَرَى السَّمَاءَ بِغَابَةِ وَغَبَارِ  
وَقُضَّاعَةً بِمَعْدَدِهَا وَنِزَارِ  
لِلتُّرُكِ، عِطْفَةَ حَازِمِ مَغْوَارِ  
شُعْبَاءَ غَيْرَ تَرَجَمِ الْأَخْبَارِ  
بَيْنَ الرُّدُومِ وَبَيْنَ نَخْلِ وَبَارِ  
أَسَدُ هَوَاصِرُ لِكَمَّةِ ضَوَارِ  
فَدَنَا فَاذْرَكَ خَمْسَةَ الْأَشْبَارِ

فِي كَمَلٍ مُعْتَمِرٍ بِطِيبِ الْغُبَارِ مُتَّارٍ  
 فِي الْمَجْدِ أَطْوَلُ أُنْرُوعٍ وَسَوَارِي  
 وَعَالِيَاتِ فَوَارِغُهُ عَلَى الْأُبْصَارِ  
 أَسْوَدٌ قَطَعْنَ سَوَابِلَ الشُّفَارِ  
 ذَكَرَ شَرِيحًا دِيدِ إِغَارَةِ الْإِمْرَارِ  
 لَيْقَى نِعْنَ عِمَامَةِ الْجَبَّارِ  
 لِلْخَيْلِ يُقْحِمُهُنَّ كَلَّ خَبَارِ  
 هِنْدِيَّةٍ، وَقَدِيمَةِ الْأَثَارِ  
 أَشْطَانِ بَانِيَّةٍ مِنَ الْأَبَارِ  
 حَاقَ الدَّرُوعَ وَهَنَ غَيْرُ قِصَارِ  
 أُمِّ الْعَتِيَّةِ بِنَاتِقِ مِذْكَارِ  
 بِالسَّيْفِ يَوْمَ تَعَانِقِ وَكِرَارِ  
 صَوْتِ الطُّبَاتِ يُطْرَنُ كَلَّ شَرَارِ  
 بَيْضَاءَ سَابِغَةٍ عَلَى الْأُظْفَارِ  
 أُعْيِيَتْ مَعَاقِلُهَا بَنِي الْأَخْرَارِ  
 اللَّهُ عَزَّادَتْهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ  
 وَالْأَكْنَزُونَ غَدَاةَ كَلَّ كِنَارِ  
 بِالْقَوْمِ أَلَيْسَ خُلُومُهُمْ بِصَغَارِ  
 وَمَضَيْنَ بَعْدَ وَجِيٍّ عَلَى الْحِزْوَارِ  
 بِالنَّجَاحِ فِي حَاقِ الْمُلُوكِ نُضَارِ

يُدْنِي خَوَافِقَ مِنْ خَوَافِقَ تَلْتَقِي  
 وَأَقْوَدُ بَنِي لَبْنِي الْمُهَاطِبِ بِيَّتَهُمْ  
 بُيُوتِ دَعَائِمُهُ عَلَى جَبَلٍ لَهُمْ  
 تَلْقَى فَوَارِسَ لِلْعَتِيَّةِ كَأَنَّهُمْ  
 ذَكَرَ رَيْنَ مُرْتَدِّفَيْنِ كَلَّ تَقْلَاصِ  
 حَمَلُوا الطُّبَاتِ عَلَى الشُّوُونَ وَأَقْسَمُوا  
 صَرَعوهُ بَيْنَ دَكَادِكِ فِي مَزْخَفِ  
 مُتَقَلِّ دِي قَلْعِيَّةٍ وَصَاوَارِمِ  
 وَعَوَاسِيْلِ عَسَلِ الذَّنَابِ كَأَنَّهُا  
 يَقْصِرُ مَنْ إِذْ طَعَنُوا بِهَا أَقْرَانَهُمْ  
 تَلْقَى قَبَائِلَ أُمَّ كَلَّ قَبِيْلِيَّةِ  
 وَأَلَدَتْ لِأَزْهَرِ كَلَّ أَصْبِيْدَ بِيْتِنِي  
 يَحْمِي الْمَكَارِمَ بِالسَّيْفِ إِذَا عَمَلَا  
 مِنْ كَلَّ ذَاتِ حَبَائِكِ وَمُقَاضِيَّةِ  
 إِنَّ الْفُصُورَ بِجِيْلِ جَبِيلَانَ التِّي  
 فُنِحَتْ بِسَيْفِ بَنِي الْمُهَاطِبِ، إِنَّهَا  
 غَابُوا بِأَنَّهُمْ الْفَوَارِسُ فِي الْوَعَى  
 وَالْأَحْلَمُونَ إِذَا الْخُلُومُ تَهَزَّهَزَتْ  
 وَالْقَائِدُونَ إِذَا الْجِيَادُ تَرَوَّحَتْ  
 حَتَّى يَرْعَنَ وَهُنَّ حَوْلَ مُعَمِّمِ

تذاكر أهل البصرة من ذوي الآداب والأحساب في أحسن ما قاله المولدون في حسن الجوار من غير تعسف

ولا تعجرف، فأجمعوا على بيتي أبي الهندي وهما: (57)

نَزَلَتْ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شِشَاتِيَا غَرِيْبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِ

وَبِرُّهُمْ حَتَّى حَسِبْتَهُمْ أَهْلِي

فَمَا زَالَ بِي إِحْسَانُهُمْ وَافْتَقَرُوا أَدْهَمَ

كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلب في يوم العقر، فلما خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل، قال ثابت قطنة يرثيه: (58)

كل القبائل بايعوك على الذي      تدعو إليه وتبايعوك وساروا  
حتى إذا حمي الوغى وجعلتهم      نصب الأسننة أسلموك وطاروا  
إن يقتلوك فإن قتلك لم يكن      عاراً عليك وبعض قتلي عار

قال الأصمعي: قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاة من بني ضبة، فقال رجل منهم:

والله ما ندري إذا ما فاتنا      طلب إليك من الذي نتطلب  
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد      أحداً سواك إلى المكارم ينسب  
فاصبر لعادتنا التي عودتنا      أو لا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمر له بألف دينار. فلما كان في العام المقبل وفد عليه فقال:

مالي أرى أبوابهم مهجورة      وكان بابك مجمع الأسواق  
حبابوك أم هبابوك أم شماموا الندى      بيدك فاجتمعوا من الأفاق  
إنني رأيتك للمكارم عاشقاً      والمكرمات قليلة العشاق  
فأمر له بعشرة آلاف درهم. (59)

قصيدة لربيعة الرقي مدح فيها يزيد بن حاتم المهلب، وهذه أبيات من أولها: (60)

حلفت يميناً غير ذي مثوية      يمين امرئ ألى بها غير آثم

(58) الأغاني ج 14 ص 270.

(59) العقد الفريد ج 4 ص 38.

(60) ديوانه ص 34.



يزيد سليم والأغر ابن حاتم  
أخو الأزد للأموال غير مسالم  
ولكنني فضلات أهل المكارم  
بمسعاته سعي البحور الخضارم  
وفي الحرب قيادات لكم بالخزائم  
مناسم والخرطوم وفوق المناسم  
وتفضيكم حقاً على كل حاكم  
مناعيش دفاعون عن كل جارم

لشئان ما بين اليزيديين في الندي  
يزيد سليم سالم المال والفتى  
فلا يحسب التمتام أنني هجوته  
فيا أيها الساعي الذي ليس مدركا  
ألا إنمنا آل المهلب غيرة  
هم الأنف والخرطوم والناس بعدهم  
قضيبت لكم آل المهلب بالعلوى  
لكم شيم ليست لخلق سواكم

قال أبو حاتم عن الأصمعي: أخبرني من حضر جنازة رُوح بن حاتم، وباكيته تقول: (61)

أَسَدٌ أَضْبَطٌ يَمْشِي بَيْنَ طَرْفَاءٍ وَغِيْلٍ  
لُبْسُهُ مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ كَضَحَضِ حَاحِ الْمَسِيلِ

قال ابن المبارك يمدح يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة: الكامل: (62)

فسواك بائعها وأنت المشتري  
فيها السبيل إلى نذاك بأوعر  
بيدي من ليس نذاهم بما بدر  
قال الندي فأطعته لك: أكثر  
من معدل عنه ولا من مقصر

وإذا تُباع كريمه أو تُشترى  
وإذا توعرت المسالك لم يكن  
وإذا صانت صنيعة أتممتها  
وإذا هممت لمعت بك بنائل  
يا واحد العرب الذي ما إن لهم

قدم على مَخلد بن يزيد بن المهلب رجل كان قد ازداره فأجازه، فقال: ألم تكن قد أتيتنا فأجرتناك؟ قال: بلى.

قال: فما ردك؟ قال: قول الكميت فيك: (63)

(61) جمهرة اللغة، باب الباء والضاد وما بعدهما.

(62) زهر الآداب ج 4 ص 1149.

(63) غرر الخصائص الواضحة، ص 330.

سألناه الجزيل فما تكفى  
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا  
ممراراً لا أعود إليك إلا  
وأعطي ففوق مُنيتنا وزادا  
فأحسن ثم أحسن ثم عدا  
تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

وحبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب لباق عليه كان بخراسان، وأقسم ليستأدينه كل يوم مائة ألف درهم!  
فبينما هو قد جباها له ذات يوم؛ إذ دخل عليه الأخطل فأنشده:

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم  
ومما قطرت بالشرق بعدك قطرة  
ومما لسرير بعد بُعدك بهجة  
وقال ذوو الحاجات أين يزيد؟  
ولا اخضرّ بالمرّين بعدك عود  
ومما لجواد بعد جودك جود

فقال: يا غلام أعطه المائة ألف درهم؛ فإننا نصبر على عذاب الحجاج، ولا نخيب الأخطل. فبلغت الحجاج،  
فقال: لله در يزيد! لو كان تاركاً للسقاء يوماً لتركه اليوم وهو يتوقع الموت. (64)

وورد أن المنصور قال لبعض ولد المهلب بن أبي صفرة: ما أسرع الناس إلى قومك! فقال: يا أمير  
المؤمنين (65)

إن العرائين تلقاهن محسدة  
كم حاسد لهم قد رام سعيهم  
ولا ترى للناس حسادا  
مانال مثل مساعيهم، ولا كادا

رأى بكير بن الأخنس المهلب وهو غلام فقال:

خذوني به إن لم يفق سروعاتهم  
ويبرع حتى لا يكون له مثل!

وكان كما قال. (66)

(64) غرر الخصائص الواضحة، ص 342.

(65) الموشى ص 4.

(66) محاضرات الأدباء ج 1 ص 180.

قال حمزة بن ببيض في مَخْد بن المهلب: (67)

بلغت لعشر مضت من سنين  
فهمك في معضلات الأمور  
ك ما يبلغ السيد الأشيب  
ر وهم لِداتك أن يلعبوا

للکمیت قصيدة يمدح بها مخلد بن يزيد بن المهلب، يقول فيها: (68)

قَادَ الجِوشَ لخمسَ عَشْرَةَ حِجَّةً  
قَعَدْتُ بِهِمِ هِمَاتُهُمْ وَسَمَتُ بِهِ  
فكَانَمَا عَاشَ المَهَالِبُ بَيْنَهُمْ  
فِي كَفِّهِ قَصَبَاتٌ كُلُّ مَقْلَدٍ  
وَمَتَى أَرِنُكَ بِمَعشَرَ وَأَرِنُهُمْ  
وَلِدَاتُهُ عَن ذَاكَ فِي أَشْغَالِ  
هَمِّ المَلُوكِ وَسَوْرَةِ الأَبْطَالِ  
بِأَعْرَ قِوَامِ مِثَالِهِ بِمِثَالِ  
يَوْمِ الرَّهْمَانِ وَفَوْزُ كُلِّ نِصَالِ (69)  
بِأَكْ أُلْفِ وَزَنُوكِ أَرْجَحَ الأَثْقَالِ

وقال الفرزدق يرثيه [أي مخلد بن يزيد]: من الطويل (70)

وَمَا حَمَلْتِ أَي دِيهِمْ مَن جَنَازَةَ  
أَبُوكِ الَّذِي تُسْتَهْزَمُ الخَيْلُ بِاسْمِهِ  
وَقَدْ عَلِمُوا إِذْ شَدَّ حَقْوِيهِ أَنَّهُ  
وَمَا أَلْبَسْتِ أَثَوْبَهَا مِثْلَ مَخْلَدِ  
وَإِنْ كَانَ فِيهَا قَيْدٌ شَهْرٌ مَطْرَدِ  
هُوَ اللَّيْثُ لِيَثَ الغَيْلِ لَا بِالمُعْرَدِ

قال عمر بن لجأ التيمي: (71)

أَلِ المُهَالِبِ قَوْمٌ خَوْلُوا كَرَمًا  
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ: جِدْ عَنْهُمْ وَخَلِّهُمْ  
مَآ نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادَا  
بِمَا احْتَكَمْتِ مِنَ الدُّنْيَا، لِمَا حَادَا

(67) ربيع الأبرار ج 3 ص 49.

(68) الأغاني ج 16 ص 441.

(69) في الحماسة البصرية نضال بالمعجمة، وهو أوضح.

(70) مختصر تاريخ دمشق ج 24 ص 147.

(71) الحماسة البصرية ج 1 ص 141.

أَلِ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أُجْسَادَا  
كَأَنْتُمْ وَالْأَكْبَامِ أَبَاءَ وَأَجْدَادَا  
وَلَا تَرَى لِلنَّاسِ حُسْنًا إِذَا

إِنَّ الْمَكْرَامِ أَرْوَاحُ يَكُونُ لَهُمَا  
أَلِ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ إِنْ مَدَحْتُهُمْ  
إِنَّ الْعَرَانِيَةَ تَلْفَاهَا مُحَسَّنَةٌ

لما قدم المهلب على الحجاج بعد حرب الأزارقة أجلسه على سريرته، وقال: هذا كما قال الشاعر: [من البسيط

[

رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا  
ولا إذا عض مكرهه به خشعا

فقلدوا أمركم الله درككم  
لا مترفأ إن رخاء العيش ساعده

فقال رجل ممن كان مع المهلب: والله لكأني أسمع قطري بن الفجاءة وهو يقول: لله در المهلب، والله ما

حاربنا مثله، هو كما قال لقيط الإيادي:

ثم افزعوا قد ينال الأمن من فزعا  
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا  
ولا إذا عض مكرهه به خشعا  
يكون متبعاً طورا ومتبعاً  
مس تحكم السن لا قهماً ولا ضرعا

صونوا جيدكم واجلوا سلاكم  
وقلدوا أمركم الله درككم  
لا مترفأ إن رخاء العيش ساعده  
ما زال يجلب صرغ الدهر أشطره  
حتى استمرت على شزر مريرته

فأعجب الحجاج موافقة قطري إياه. (72)

قال الكلبي: أنشد زياد الأعجم يزيد بن المهلب:

على أعواد منبره يزيدا  
وأخرى ثمطر العلق الحديثدا

ومامات المهلب مذ رأينا  
له كفة إن كف ندى وجود

فَأَمَرَ لَهُ بِالْفِ دِينَارٍ. (73)

قول الأشقريّ وقد مرّ بقبر المهلب بن أبي صفرة فنفرت ناقته، فقال: (74)

لحالك الله يا شـرّ البرايا  
أعن قبر المهلب تنفرينا  
فلولا أنّي رجل غريب  
لكنيت على ثلاث تحلينا

قال كعب بن الأشقريّ في المغيرة بن المهلب: (75)

كم حاسدٍ لك قد عطلت همّته  
مُغرّى بشتم صروف الدّهر والقدِر  
كأنّما أنت سهمٌ في مفاصله  
إذا رآك تنّى طرفاً على عور  
كم حسرةٍ منك تُردي في جوانحه  
لها على القلب مثل الوخز بالإبر  
أنت الكريمُ الَّذي لا شيء يُشبهه  
لا عيبَ فيك سوى أن قيل من بشر

ومن المرثي الجياد قصيدة زياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلب، فاستنشدته المهلب هذه القصيدة حتّى أتى على قوله:

فإذا مررت بقبره فاعزّ به  
كؤمّ الهجان وكلّ طرفٍ سايح

فقال له المهلب: فهل عقرت عليه، يا أبا أمّامة، فرسك؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: لأنّي كنت على مُقرّف ولو كنت على عتيق لفعت، فاستحسن المهلب قوله وقال لمن حضر مجلسه من ولده ومواليه: ليهد كلّ واحدٍ منكم إلى زياد فرساً من خيله، فيقال إنّه انصرف بأكثر من مائة فرس، وأول هذه القصيدة المختار منها قوله: (76)

قلن للقوافل والغزاة إذا غزوا  
والبكرين وللمجدد الرّائح

(73) سير أعلام النبلاء ج 4 ص 504.

(74) الأشباه والنظائر ج 2 ص 234.

(75) الأشباه والنظائر ج 2 ص 306.

(76) الأشباه والنظائر ج 2 ص 357.

إِنَّ السَّامِحَةَ وَالْمَغِيرَةَ ضُرَّةٌ ضُمَّنَا  
 فَإِذَا مَرَرْتُ بِقَبْرِهِ فَاعْتِزْ بِهِ  
 وَأَنْضَحْ جِوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا  
 وَإِذَا يُنَادِي عَلَى فِتْنَى فَتَعَلَّمَنْ  
 وَأَرَى الْمَكَارِمَ يَوْمَ زَيْلٍ بِنَعَشِهِ  
 فَكَفَى لَنَا حَزَنًا بِبَيْتِ حَأْسِهِ  
 لَعَفَتْ مِنْ أَبْرُهُ وَخُطِّ سُرُوجُهُ  
 مَاتَ الْمَغِيرَةَ بَعْدَ طَوْلِ تَعْرُضِ  
 وَالْقَتْلُ لَيْسَ إِلَيَّ الْقِتَالِ وَلَا أَرَى  
 لِلَّهِ دُرٌّ مَنِيَّةً فَاتَتْ بَيْتَهُ  
 الْآنَ لَمَّا كُنْتُ أَكْمَلُ مَنْ مَثَلِي  
 وَتَكَامَلْتُ فِيكَ الْمُرُوءَةَ كُلَّهَا  
 فَانْعَ الْمَغِيرَةَ لِلْمَغِيرَةَ إِذْ بَدَتْ  
 صَفَانِ مَخْتَلِفَانِ حِينَ تَلَقَّيَا  
 تَشْتَفِي بِجِلْمِكَ لِأَبْنِ عَمِّكَ جَهْلَهُ  
 وَإِذَا الْأُمُورُ عَلَى الرَّجَالِ تَشَابَهَتْ  
 فَتَلَّ السَّاحِلَ بِمَبْرَمِ ذِي مِرَّةٍ  
 صِلْ يَمُوتُ سَالِيئُهُ قَبْلَ الرُّقَى  
 إِنَّ الْمَهَالَ بِ لَا يَزَالُ لَهُمْ فِتْنَى  
 مَلَأْتُ أَغْرُ مَتَوَجَّحٌ يَسْمُو لَهُ  
 رَفَاغُ أَلْوِيَةِ الْحُرُوبِ إِلَى الْعِدَى

وَأُنشِدُ لِلطَّرْمَاحِ يَمْدِحَ يَزِيدِ بْنِ الْمَهْلَبِ: (77)

حَمَّالُ أَشْنَاقِ دِيَاتِ الثَّمَالِ

قَبْرًا بِمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ  
 كَوْمَ الْهَجْرَانِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحِ  
 فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَانِي دَى وَذِبَائِحِ  
 أَنَّ الْمَغِيرَةَ فَوْقَ نَوْحِ النَّبَائِحِ  
 زَالَتْ بِفَضْلِ مَكَارِمِ وَمَمَادِحِ  
 أُخْرَى الزَّمَانِ فَلَيْسَ عَنْهُ بِيَارِحِ  
 عَنْ كُلِّ طَامِحَةٍ وَطَرْفٍ طَامِحِ  
 لِلْمَمُوتِ بَيْنَ أَسْنَانَةٍ وَصَفَائِحِ  
 حَيًّا يُوخَّرُ لِلشَّافِقِ النَّاصِحِ  
 فَلَقَدْ أَرَاهُ يَرُدُّ غَرْبَ الْجَامِحِ  
 وَافْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شَبَابَةِ الْقَارِحِ  
 وَأَعْنَتِ ذَلِكَ بِالْفَعَالِ الصَّالِحِ  
 شَعْوَاءَ مُجْدِرَةَ نُبَّاحِ النَّبَائِحِ  
 أَبُورًا بِوَجْهِهِ مُطَّأَقِ أَوْ نَاكِحِ  
 وَتَرُدُّ عَنْهُ كَفَّاحِ كُلِّ مُكَافِحِ  
 وَتُورِّعُ بِمَغَالِقِ وَمَفَاتِحِ  
 دُونَ الرَّجَالِ بِفَضْلِ عَقْلِ رَاجِحِ  
 وَمُخَاتِرِ لِعَدُوِّهِ بِتَصْنُافِحِ  
 يَمْرِي قَوَادِمَ كُلِّ حَرْبٍ لِاقِحِ  
 طَرْفُ الصَّادِقِ وَغَضُّ طَرْفِ الْكَاشِحِ  
 بِسُوءِ عَوْدِ طَيْرِ سَوَانِحِ وَبِوَارِحِ

عَنْ عَدْفِ الْأَصْلِ وَجَشَامِهَا

لحمزة بن بيضٍ في يزيد بن المهلب مختارةٌ يقول فيها: (78)

أَقُولُ لَمَّا رَأَيْتُ مَحْبَسَهُ      وَعَضَّ مَنِّي بِالْغَارِبِ الْقَتْبُ  
أَغْلَقَ دُونَ السَّمَّاحِ وَالْجُودِ وَالْ—      نَجْدَةَ بَابٍ خَرُوجُهُ أَشْبَهُ  
إِنْ مَاتَ مَاتَ النَّدَى يَزِيدُ فَلَا      تُؤَدِّ وَلَا يُؤَدِّ بِحَرْكِ اللَّجْبُ  
أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّامِحَةُ وَالْحَا      مَلِلَ لِلْمَعْضَلَاتِ وَالْحَسْبُ  
فَزَتَ بِقِدْحِ النَّدَى عَلَى مَهْلٍ      وَقَصَّ رَتُّ دُونَ سَعِيكَ الْعَرَبُ  
يَزِيدُ أَنْتَ الرِّبِيْعُ نَأْمُلُهُ      يِرْجُوكَ مَنَّا ذُو الْأَهْلِ وَالْعَزْبُ  
أَبْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ مَضَّتْ      لَا ضَرْعٌ وَاهْنٌ وَلَا تَلْبُ  
وَلَا بَطْرٌ إِنْ تَتَابَعَتْ نَعْمٌ      وَصَابِرٌ فِي السَّبَلَاءِ مُحْتَسِبُ

قام أعرابي بين يدي داود بن المهلب، وقال: إني قد مدحتك فاسمع. قال: على رسلك، ثم دخل بيته فتقلد سيفه وخرج، ثم قال: قل فإن أحسنت حملناك وإن أسأت قتلتناك، فأنشد:

أَمْنَتُ بِدَاوُدَ وَجُودِ يَمِينِهِ      مِنْ الْحَدِثِ الْمَخْشِيِّ وَالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ  
وَأَصَابِحَتْ لَا أَخْشَى بِدَاوُدِ كَبُوءَهُ      مِنْ الدَّهْرِ لَمَّا أَنْ شَدَّدْتَ بِهِ أَرْزِي  
لَهُ حَكْمَ دَوَادٍ وَصُورَةَ يَوْسُفَ      وَمَلِكِ سَالِمَانَ وَعَدْلَ أَبِي بَكْرِ  
فَتَنَى تَفْرِقَ الْأَمْوَالِ مِنْ جُودِ كَفِهِ      كَمَا يَفْرِقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

فقال له: قد حملناك، فإن شئت على قدرنا، وإن شئت على قدرك. قال: بل على قدري. فأعطاه خمسينا. فقال له جلساؤه: هلا احتكمت على قدر الأمير! قال: لم يكن في ماله ما يفي بقدره. فقال له داود: أنت في هذا أشعر منك في شعرك، وأمر له بمثل ما أعطاه. (79)

وحدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، قال: حدثنا عبيد الله بن إسحاق بن سلام، قال: أتى الكميث باب مخلد بن يزيد بن المهلب يمدحه، فصادف على بابيه أربعين شاعراً، فقال للأذن لي على الأمير.

(78) المصون في الأدب ص134.  
(79) غرر الخصائص الواضحة ص339.

فاستأذن له عليه فأذن له، فقال له: كم رأيت بالباب من شاعرٍ؟ قال: أربعين شاعراً، قال: فأنت جالب التمر إلى هجر، قال: فإنهم جلبوا دقلاً وجلبت أزاداً، قال: فهات أزدك، فأنشد:

هـلا سألته منازلاً بالأبرق  
لعبت بها ریحان ریح عجاجةٍ  
والهيف رأحفة لها ينتاحها  
تصل اللقاح إلى النتاج مزيةً  
غيرن عهدك بالديار ومن يكن  
إلا خوالد في المحلّة بيتهها  
متبحراً ترك الولائد رأسه  
دار التي تركتك غير ملومةٍ  
قد كنت قبل تتوق من هجرانها  
والحرب فيه حلاوة ومرة  
ما ذاق بؤس معيشةٍ ونعيمها  
من قال بتّ أخوا الهموم ولم يبت  
حتى بلغ إلى قوله:

بشّرت نفسي إذ رأيتك بالغنى  
ووثقت حين سمعت قولك لي: ثق

فأمر بالخلع عليه، فخلع عليه حتى استغاث، فقال: أتاك الغوث، ارفعوا عنه.

كتب العنابي إلى داود بن يزيد بن المهلب: أما بعد، فإنني امرؤ فيّ خلتان: حصرٌ مقيد بالحياء، وعزة نفس شبيهةٌ بالجفاء، ولم أزل أرغب بنفسي في صحبة غطارفة الرجال، وأبناء ذوي الفعال، فوردت العسكر فرفع إلي أقوام منهم من يرتاش حاله، ولا يشرف إلا بماله، ومنهم من أنحل أديمه، ولم يصل قديمه، في طبقات شتى يضيق عنهم المدح، ويتسع فيهم الذم، ورأيت وجوه القبائل تصدر عنك بأنواع الفضائل في حمل الديات، وفضل الهبات، ورأيتك من نبعةٍ أصلها الكرم، وأغصانها الهمم، تثمر الحمد، وترقع المجد، فحطت رحلي بفنائك، وشدت عراه بأطناب وفائك، وقلت في ذلك:



داود خير فتى يعاذا بركنه  
كم من يد لك أصبحت مشهورة  
فلقلمنا تلقاه إلا واقفاً  
ملك يجير من الزمان القاسي  
بيضاء تجلو وظلمة الإبلال  
متحرماً بين الندى والبأس

قال ابن الكوفي: لما قدم المهلب على الحجاج بعد فراغه من أمر الأزارقة وقتالهم، أكرمه الحجاج وشرفه وبلغ له الغاية، قال: فخرج الحجاج يوماً أخذاً بيد المهلب، حتى إذا انتهى إلى المحراب قام ثم قال: يا أبا سعيد أنا أطول أم أنت؟ فقال: الأمير أطول مني وأنا أشخصمنه، فلما انصرف من صلاته أخذ بيده فأدخله معه ثم قال له: سجستان خير ولاية أم خراسان؟ قال: سجستان قال: وكيف؟ قال: لأنها ثغر كابل وزابلستان، وإن خراسان ثغر الترك، قال أيهما أحب إليك أن يليه رجل مثلك؟ قال: إن أمثالي في الناس لكثير وما نحن حيث يرى الناس، قال: سر إلى سجستان، قال: غيري خير لك فيها مني، وأنا بخراسان خير لك من غيري، قال: ولم؟ قال: لأن بدء نعمة الله علي بعد الإسلام كان في غزوتي خراسان مع الغفاري، وابن أبي بكر بسجستان خير لك مني؛ لأن أهلها أحبوه لحسن أياديهم فيهم، وأنا بخراسان خير منه، قال: وما كنت تلي من أمر الغفاري؟ قال: كنت فيمن صحبه، فلما نزلنا بيهق ودنونا من عدونا قال الغفاري: هل من فوارس ينظرون لنا أمامنا وإن أصابوا أحداً أتوا به، فانتدب منا مع صاحب شرطته عشرة فوارس، فلقينا عدتنا من عدونا، فقال أصحابي: قد عاينا طلائع القوم فانصرفوا، فقلت: وما عليكم أن نشامهم؟<sup>(80)</sup> فأبوا وانصرفوا وتقدمت فقتل الله العشرة على يدي، ثم انصرفت برؤوسهم ودوابهم وأسلابهم معي، وقد كان أصحابي نعوني إلى الغفاري، فلما رأني ضحك وقال:

كبا القوم عند عيان الرهان  
ففاز المهلب بالمكرمات  
ونال المهلب حظ الفرس  
وأب عمير بحر عدالتعس

ثم ولاني شرطته وخرج إلي من أمره. فولاه الحجاج خراسان، وكان واليها حتى هلك بها، فقال نهار بن توسعة يرثيه:<sup>(81)</sup>

الله دركهم غداة دفنتم  
سهم العداة ونائلاً لا يحظر

(80) تقترب منهم وناولهم.  
(81) المجلس الصالح الكافي والأنيب الناصح الشافي ص 605.

ففي المسـلمين وذكـره لا يقبـر  
والجابر العظم الذي لا يجبر  
وبـيمن طـائره الذي لا ينكـر  
هيهات هيهات الجناب لأخضر  
بدل لعمر أبيك منه أعور  
أعفى عن الذنب الذي لا يغفر  
منه وأعدل في النهاب وأوقر  
يخشى بوادرها الإمام الأكبر  
ومحاسن الأخلاق منها أكثر  
ولو انه خمسين عاماً يخطر  
سـيحل بالمصـرين أمر منكر  
حذر السـباء وزل عنها المنزر  
خـزر فـذاقوا الموت وهو مشمر  
وولي حادثها الذي يسـتتكر

إن تدفونه فإن مثل بلائه  
كان المدافع دون بيضة مصره  
والكافي الثغر المخوف بحزمه  
أنى لها مثل المهلب بعده  
كل امرئ ولي الرعية بعده  
ما ساسنا مثل المهلب سائس  
لا لا وأيمن في الحروب نقيبة  
وأشد في حق العراق شـكيمة  
جمع المروءة والسياسة والتقوى  
تجري له الطير الأيمان عمره  
لما رأى الأمر العظيم وأنه  
وأرنت العوذ المطافل حوله  
ألقى القناع وسار نحو عصاية  
كان المهلب للعراق سـكينة

وقدم السعدي أبو وجزة على المهلب بن أبي صفرة، فقال: أصلح الله الأمير. إنني قد قطعت إليك الدهناء، وضربت إليك أباط الإبل من يثرب. قال: فهل أتيتنا بوسيلة أو عشرة أو قرابة؟ قال: لا، ولكني رأيتك لحاجتي أهلاً، فإن قمت بها، فأهل ذلك، وإن يحل دونها حائل، لم أذمم يومك، ولم أياس من غدك. فقال المهلب: يعطى ما في بيت المال. فوجد مائة ألف درهم، فدفعت إليه، فأخذها وقال: (82)

فليس يحسن غير البذل والجود  
فأنت والجود منحوتان من عود

يامن على الجود صاغ الله راحته  
عمت عطايك من بالشرق قاطبة

وفد زياد الأعجم على المهلب بن أبي صفرة وهو يقاتل الأزارقة بتوج، فأكرمه وأنزله على ابنه حبيب، وقال له أحسن قرأه، فبينما هما في بستان إذ غنت حمامة على فنن؛ فطرب لها زياد، فقال له حبيب: إنها فاقدة إلفا كنت أراه معها، فقال زياد: هو أشد لشوقها، وأنشأ يقول:

تغني أنت في ذممي وعهدي      وذمة والدي أن لا تضاري  
فإنك كلما غردت صوتاً      ذكرت أحبتي وذكرت داري  
فإما يقتلوك طلبت ثاراً      لأنك يا حمامة في جوارِي

فضحك حبيب ودعا بجلاهدق فرماها، فسقطت ميتة، فنهض زياد مغضباً وقال: أخفرت أبا بسطام ذمتي وقتلت جاري، فشكا إلى المهلب، فغضب وقال لحبيب: أما علمت أن جار أبي أمامة جاري، وذمته ذمتي، والله لألزمك دية الحر والعبد، وأخذها من ماله، ودفعها إلى زياد، فقال:

فأله عيناً من رأى كقضية      قضى لي بها شيخ العراق المهلب  
قضى ألف دينار لجار أجرته      من الطير إذ يبكي شجاء ويندب

فرفع خبره إلى الحجاج فقال: لشيء ما سودت العرب المهلب! ويروى: ما أخطأت العرب حين جعلت المهلب رجلها. (83)

ومات مخلد بخنصرة، فخرج عمر بن عبد العزيز في جنازته وكان معجباً به؛ لأنه كان سيداً جواداً شجاعاً فصلى عليه، ثم تمثّل عند قبره:

على مثل عمرو تهلك النفس حسرة      وتضحى وجوه القوم مسودة غبرا

وقال: لو أن الله أراد بيزيد خيراً لأبقى له هذا الفتى. (84)

ابن حمدون: (85)

(83) ربيع الأبرار ج 1 ص 314.

(84) التذكرة الحمدونية ج 4 ص 213.

(85) ربيع الأبرار ج 5 ص 105.

ورثوا المكارم والوفاء فسدادوا  
وأتى بنوه ما بناه فشادوا  
وبنى له الأبناء والأجداد

آل المهلب معشر أنجاد  
شاد المهلب ما بنى أباه  
وكذاك من طابت مغارس نبتة

لثابت قُطنة، في يزيد بن المهلب: (86)

إلى الناس أن كنت الأمير المتوجاً  
وبابك مفتوح لمن خاف أو رجا  
وتؤمن ذا الإجمام إن كان مُرجا

أبا خالدٍ زدت الحياة محبةً  
وحق لهم أن يرغبوا في حياتهم  
تزيد الذي يرجون ذلك تفضلاً

قال يزيد بن الحكم ليزيد بن المهلب: (87)

وقد شمرت حرباً عوان فشمر  
فإن كنت لم تشعر بذلك فاشعر

أبا خالدٍ قد هجت حرباً مريرةً  
فإن بنى مروان قد زال ملكهم  
فقال: ما شعرت؟ فقال:

وسيفك مشهورٌ بكفأك تُعذر

فعرش ملكاً أو مت كريمياً وإن تمت

لما بعث خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد أخاه عبد العزيز لقتال الأزارقة، قام إليه عرهم أخو بني العدوية، فقال: أصلح الله الأمير، إن هذا الحي من تميم نبط بقريش منهم رجم داسة ماسة، وإن الأزارقة ذوبان العرب وسباعها، وليس صاحبهم إلا المباكر المناكر، المحرب المجرب، الذي أرضعته الحرب بلبانها، وجرسته وضرسته، وذلك أخو الأزدي المهلب بن أبي صفرة، والله إن غنك أحب إلينا من سمينه، ولكني أخاف عدوات الدهر وغدره، وليس المجرب كمن لا يعلم، ولا الناصح المشفق كالغاش المنهم، قال له خالد: اسكت ما أنت وذا. فلما هزمت الأزارقة عبد العزيز وأخذوا امرأته وفر عنها، قال عرهم: الطويل (88)

(86) رسائل الجاحظ ج 2 ص 83.

(87) الزهرة ص 691.

(88) ذيل الأمالي ص 32.

وناديتيه حتى أبى وعصانيا  
عصاني فلاقى ما يسر الأديا  
حماة كماء يضربون الهوايا  
إليهم فتى الأزد الألد المساميا  
جريا على الأعداء للحرب صاليا  
على غارب قد كان زهمان ناويا  
كتائبهم تزجى إلينا الأفاعيا  
شداد إذا ما القوم هزوا العواليا

لعمري لقد ناجيت بالنصح خالدا  
ولج وكانت هفوة من مجرب  
وقلت: الحروريون من قد عرفتهم  
فلا ترسلن عبد العزيز وسرحن  
فتى لا يلاقى الموت إلا بوجهه  
فلما أبى أقيت حبل نصيحتي  
وشمرت عن ساقى ثوبى إذ بدت  
يهزون أرمحا طوالا بأذرع

وقال آخر في آل المهلب: (89)

وأمنعهم، إذا غموا ذمارة  
نراها عن شماملكم قصارة

رأيكم أعز الناس جارا  
حمائلكم وإن كانت طوالا

كان ابن المولى مداحا لجعفر بن سليمان وقتم بن العباس الهاشميين، ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، واستفرغ مدحه في يزيد، وقال فيه قصيدته التي يقول فيها:

قحطان قاطبةً وساد نزارا  
ألا أعالج بعذك الأسفارا  
فعل الندى فوق البلاد وطارا

يا واحد العرب الذي دانت له  
إني لأرجو إن لقيتُك سالما  
رشت الندى ولقد تكسر ريشه

ثم قصده بها إلى مصر وأنشده إياها، فأعطاه حتى رضي.

ومرض ابن المولى عنده مرضا طويلا، وثقل حتى أشفي، فلما أفاق من علته ونهض، دخل عليه يزيد بن حاتم متعرفا خبره، فقال: لوددت والله يا أبا عبد الله ألا تعالج بعدي الأسفار حقا ثم أضعف صلته. (90)

(89) حماسة القرشي ص 326.

(90) الأغاني ج 3 ص 287.

لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظفر، خلع عليه، وعقد له لواء على كور الأهواز وسائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه، فاستأذن في الإنشاد، فأذن له فأنشده:

وهل يُعذَرْنَ ذو صَبُوة وهو أشْيَبُ  
بلياً لى كما حَنَّ اليراعُ المثقَبُ  
بعاداً على بعدٍ إليها التقربُ  
دواءً لِمَا ألقاه منها التجنُّبُ  
ولا أنا منها مُشْتَفٍ حين تُصَقَّبُ  
ولكنني أنسوي العزاء فأغلبُ  
إذا هابيه السارون لا أتهدَّبُ  
بحبل جوارٍ ذاك ما كنتُ أطلبُ  
بكفَّيه أو سَاطَ القيداحِ مُقَلَّبُ  
وذو الهَمِّ يوماً مُصْعَدٌ ومُصَوَّبُ  
من الناس فيما حاز شرقٌ ومغربُ  
وأوهبَ في جود لِمَا ليس يُوهبُ  
مَداكٍ ومما أدركتُه فتذبذبوا  
وراموا الذي أذلت منه فأصعبوا  
يساعدك فيها المُنتَمي والمُرْكَبُ  
إلى المجدِ آباءٍ كرامٍ ومنصِبُ  
بدا منهم درُّ مُنيِرٍ وكوكبُ  
هوى منكبٍ منهم بليلى ومنكبُ  
بنائبةٍ كادت لها الأرض تُخربُ  
لأبقاهم للجود نوابٌ ومخالبُ  
كما فيهما للناس كان المهالبُ  
قبورٌ بها موتاكم حين غيبوا

ألا يا لقومي هل لِمَا فات مَطْلَبُ  
يجنُّ إلى ليلى وقد شطت النوى  
تقرَّبْتُ ليلى كي تُثيب فزادني  
فداويتُ وجدي باجتبابٍ فلم يكن  
فلا أنا عند النَّأي سألٍ لحبها  
وما كنت بالراضى بما غيرهُ الرضا  
وليلٍ خُدَّاري الرواق جثمتُه  
لأظفر يوماً من يزيد بن حاتم  
بلسوتٍ وقالبتُ الرجال كما بلا  
وصعدني همِّي وصوب مرةً  
لأعرف ما أتى فلم أر مثله  
أكرَّ على جيشٍ وأعظم هيبته  
تصدى رجالٌ في المعالي ليأخقوا  
ورُمت الذي راموا فأذلت صعبه  
ومهما تناول من مَنال سانية  
ومنصبٍ آباءٍ كرامٍ تمأههم  
كواكبٌ نجن كلِّما انقضَّ كوكبُ  
أنارَ به آل المهالب بعهدما  
وما زال إلحاحُ الزمان عليهم  
فلو أبقيت الأيام حيّاً نفاسه  
وكنيت ليومِي نعمةً ونكايةً  
ألا حبَّذا الأحياء منكم وحبَّذا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرس بسرجه ولجامه وخلعة، وأقسم على من كان بحضرته أن يجيزوه كل واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده. (91)

حدثنا المغيرة بن محمد المهلب عن رواة باهلة، أن المهلب بن أبي صفرة لما هزم قطري بن الفجاءة بسابور جلس للناس، فدخل إليه وجوههم يهنئونه، وقامت الخطباء فأثنت عليه، ومدحته الشعراء، ثم قام المغيرة بن حبناء في أخرياتهم فأنشده:

حَالُ الشَّجَا دُونَ طَعْمِ العَيْشِ وَالسَّهْرِ  
وَاسْتَحْقَابُكَ أَمْوَرٌ كُنْتَ تَكْرَهُهَا  
وَفِي المَوَارِدِ لِلأَقْوَامِ تَهْلُكَةٌ  
لَيْسَ العَزِيزُ بِمَنْ تُغَشَى مَحَارِمُهُ  
حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:

إِلَّا المَهْلَبُ بَعْدَ اللهِ وَالْمَطْرُ  
مِبَارِكٌ سَيَبِيهُ يَرْجَى وَيُنْتَظَرُ  
كِلَاهِمَا نَافِعٌ فَيَهُمُّ إِذَا افْتَقَرُوا  
وَإِذَا يَعِيشُ بِهِ الأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ  
فَلَا رِبِيْعٌ تُهْمُ تُرَجَى وَلَا مَضْرُ  
وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالبَصَرُ  
عَلَى مَنْ أَزَلِ أَقْوَامٌ إِذَا ذُكِرُوا  
فِيهَا يُعَدُّ جَسِيمُ الأَمْرِ وَالبَطْرُ  
أَسْبَابُ مَعْضَلَةٍ يَعِيَا بِهَا البَشَرُ  
مِنْهُ الحِيَاءُ وَمِنْ أَخْلَاقِهِ الخَفَرُ  
يُخْزِي بِهِ اللهُ أَقْوَاماً إِذَا غَدَرُوا  
حَزْماً وَعَزْماً وَيَجْلُو وَجْهَهُ السَّفَرُ  
لَوْ لَا يُكْفِفُهَا عَنْ مِصْرِهِمْ دَمَرُوا  
كَأَنَّمَا بِيَهُنَّ عَثْمَانُ أَوْ عَمْرُ

أَمْسَى العِبَادُ بِشَرٍّ لَا غِيَاثَ لَهُمْ  
كِلَاهِمَا طَيِّبٌ تُرَجَى نَوَافِلُهُ  
لَا يَجْمُدَانِ عَلَيْهِمْ عِنْدَ جَهْدِهِمْ  
هَذَا يَنْوَدُ وَيَحْمِي عَنِ ذِمَارِهِمْ  
وَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ العَدُوُّ بِهِمْ  
وَأَنْتَ رَأْسٌ لِأَهْلِ الدِّينِ مَنْتَحَبٌ  
إِنَّ المَهْلَبُ فِي الأَيَّامِ فَضَّلَهُ  
حَزْمٌ وَجُودٌ وَأَيَّامٌ لَهُ سَلَفَتْ  
مَاضٍ عَلَى الهَوْلِ مَا يَنْفَكُ مَرْتَجِلاً  
سَهْلُ الخَلَائِقِ يَعْفُو عِنْدَ قَدْرَتِهِ  
شَهَابٌ حَرِبَ إِذَا حَلَّتْ بِسَاحَتِهِ  
تَزِيدُهُ الحَرِبُ والأَهْوَالُ إِنْ حَضَرَتْ  
مَا إِنْ يَزَالُ عَلَى أَرْجَاءِ مُظْلِمَةٍ  
سَهْلٌ إِلَيْهِمْ حَلِيمٌ عَنِ مَجَاهِلِهِمْ

كَهْفٌ يَلْوَدُونَ مِنْ ذَلِّ الْحَيَاةِ بِهِ      إِذَا تَكَلَّمُوا تَفْهَمُ مِنْ هَوْلِهَا ضُرُورَ  
أَمْرٌ لَخِصَانِهِمْ فَيُضِلُّ لِسَانَهُمْ      يَنْتَابُ نَائِلُهُ الْبَادُونَ وَالْحَضْرَ

فلما أتى على آخرها قال المهلب: هذا والله الشعر لا ما نعلل به! وأمر له بعشرة آلاف درهم وفرس جواد، وزاده في عطائه خمسمائة درهم.<sup>(92)</sup>

وللمغيرة بن حبناء قصيدة مدح بها المهلب بن أبي صفرة أيضا، أولها:

أَمِنْ رَسُولِ دِيَارِ هَاجَكَ الْقِدْمُ      أَقْوَتْ وَأَقْفَرَتْ مِنْهَا الطَّفُّ وَالْعَلْمُ  
وَمَا يَهِيْجُكَ مِنْ أَطْلَالِ مَنْزِلَةٍ      عَفَى مَعَالِمَهَا الْأُرُوْحُ وَالسِّدْمُ  
بِئْسَ الْخَلِيفَةُ مِنْ جَارٍ تَضُنُّ بِهِ      إِذَا طَرِبَتْ أَثْفَافِي الْقِدْرِ وَالْحَمَمُ  
دَارُ التِّي كَادَ قَلْبِي أَنْ يُجَنَّ بِهَا      إِذَا أَلَمَّ بِهِ مِنْ ذِكْرِهَا لَمَمُ  
إِذَا تَذَكَّرَهَا قَلْبِي تَضَيَّقَهُ      هُمُّ تَضَيَّقُ بِهِ الْأَحْشَاءُ وَالْكَظْمُ  
وَالْبَيِّنُ حِينَ يَرُوعُ الْقَلْبَ طَائِفُهُ      يَبْدِي وَيظْهَرُ مِنْهُمْ بَعْضَ مَا كَتَمُوا  
إِنِّي أَمْرٌ كَفَّنِي رَبِّي وَأَكْرَمَنِي      عَنِ الْأُمُورِ التِّي فِي غِبِّهَا وَخَمُّ  
وَإِنَّمَا أَنَا إِنْسَانٌ أَعْيَشُ كَمَا      عَاشَ الرِّجَالُ وَعَاشَتْ قَبْلِي الْأُمَمُ

وهي قصيدة طويلة، كان سبب قوله إياها أن المهلب كان أنفذ بعض بنيه في جيش لقتال الأزارقة، وقد شددت منهم طائفة تغير على نواحي الأهواز، وهو مقيم يومئذ بسابور، وكان فيهم المغيرة بن حبناء، فلما طال مقامه واستقر الجيش لحق بأهله فألم بهم وأقام عندهم شهرا، ثم عاود وقد قفل الجيش إلى المهلب، فقيل له: إن الكتاب خطوا على اسمه، وكُتب إلى المهلب أنه عصى وفارق مكتبه بغير إذن، فمضى إلى المهلب، فلما لقيه أنشده هذه القصيدة، واعتذر إليه فعذره، وأمر بإطلاق عطائه وإزالة العتب عنه.<sup>(93)</sup>

دخل حاجب الفيل يوما على يزيد بن المهلب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقري وكانا لا يفارقان مجلسه، فوقف بين يديه، فقال له: تكلم يا حاجب. فقال: يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتا؟ قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك. قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفيك حقا، ولكن المجتهد محسن، فلا تهجني بمنعي

(92) الأغاني ج 13 ص 95 وما بعدها.

(93) الأغاني ج 13 ص 97 وما بعدها.



الإنشاد، وتأذن لي فيه فإذا سمعت فجودك أوسع من مسألتِي. فقال له يزيد: هات فما زلت مجيداً محسناً  
مجلاً، فأنشده: (94)

كَم مِّنْ كَمِيٍّ فِي الْهِيَاكِ تَرَكَتْهُ      يَهْوِي لِفِيهِهُ مُجْدًا مَقْتًا وَلَا  
جَالَّتْ مَفْرَقَ رَأْسِهِ ذَا رَوْنَقٍ      عَضِبَ الْمَهْرَةَ صَارِمًا مَصْقُولًا  
قُدَّتْ الْجِيَادُ وَأَنْتَ غِرٌّ يَبَافِعُ      حَتَّى اِكْتَهَلَتْ وَلَمْ تَزَلْ مَأْمُولًا  
كَمْ قَدْ حَزَبْتَ وَقَدْ جَبَرْتَ مَعَاشِرًا      وَكَمْ امْتَنَنْتَ وَكَمْ شَفَيْتَ غَلِيلاً

فقال له يزيد: سل حاجتك. فقال: ما على الأمير بها خفاء. فقال: قل. قال: إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيمًا  
أسأله الأمير -أعزه الله- مع عظم قدره؟ قال: أجل، فقل يفعل، فلست بما تصير إليه أغبط منا. قال: تحملني  
وتُخدمني وتُجزل جائزتي. فأمر له بخمسة تخوت ثياب وغلّامين وجارينين وفرس وبغل وبرذون وخمسة  
آلاف درهم، فقال حاجب:

شِمَّ الْعَيْتِ وَأَنْظُرْ وَيُكْ أَيْنَ تَبَعَجَتْ      كُلاهُ تَجِدُهَا فِي يَدِ ابْنِ الْمَهْلَبِ  
يَدَاهُ يَدٌ يُخْزِي بِهَا اللَّهُ مَنَ عَصَى      وَفِي يَدِهِ الْأَخْرَى حِيَاةُ الْمَعْصَبِ

لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت قطنه على هند بنت المهلب والناس حولها جلوس يعزونها، فأنشدها:

يَا هِنْدَ كَيْفَ بِنُصَبِ بَاتِ يَبْكِينِي      وَعَائِرٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ يُوذِينِي  
كَأَنَّ لَيْلِي وَالْأَصْدَاءَ هَاجِدَةً      لَيْلُ السَّلِيمِ وَأَعْيَا مَن يُدَاوِينِي  
لَمَّا حَنَى الدَّهْرُ مَن قَوْسِي وَعَذَّرَنِي      شَيْبِي وَقَاسِيَتِ أَمْرَ الْغُلْظِ وَاللَّيْنِ  
إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا عَسَّانَ أَرْقَبِنِي      هَمٌّ إِذَا عَرَّسَ السَّارُونَ يُشْجِينِي  
كَانَ الْمَفْضَلُ عِزًّا فِي ذَوِي يَمَنِ      وَعِصْمَةٌ وَثَمَالًا لِلْمَسَاكِينِ  
مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي هَمِّ تَجِيْشِ بِهِ      نَفْسِي وَفِي نَصَبِ قَدِ كَادَ يُبْلِينِي  
إِنِّي تَذَكَّرْتُ قِتَالِي لَوْ شِئْتُمْ      فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ لَمْ يَصَلُوا بِهَا دُونِي  
لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِنْ لَمْ أَجِنْ بَعْدَهُمْ      حَرْبًا تُبِيءُ بِهِمْ قِتَالِي فَيْشُ فُونِي

فقال له هند: اجلس يا ثابت فقد قضيت الحق وما من المنيّة بد، وكم من مية ميت أشرف من حياة حي، وليست المصيبة في قتل من استشهد ذابا عن دينه مطيعا لربه، وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته وخمل ذكره بعد موته، وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملا. يقال إنه ما عزي يومئذ بأحسن من كلامها.(95)

قال القحزمي: دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان -أظنه قتيبة بن مسلم- فمدحه وسأله حاجة فلم يقضها له، فخرج من بين يديه، وقال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني عنه، وأنشأ يقول:(96)

أبا خالدٍ لم يبقَ بعدك سُوقَةٌ  
ولا فاعلٌ يرجو المقأونَ فضالهُ  
ولا مَلِكٌ مَمَّن يُعِين على الرِّقْدِ  
ولا قاتلٌ يَنكُ العَدُوَّ على حَقْدِ  
لو ان المنايا سامحتْ ذا حَفِظَةَ  
لأكرمته أو عَجَبنَ عنه على عمدِ

قصيدة كعب الأشقري التي يمدح بها المهلب بن أبي صفرة ويذكر قتاله الأزارقة، وفيها يقول:(97)

أتاني والحديثُ له نَمَاءٌ  
سألوا أهلَ الأباطحِ من قريشٍ  
ومَن يحمي الثغورَ إذا استحرَّتْ  
لقومي الأزد في العَمَراتِ أمضى  
هُم قادوا الجيادَ على وجأها  
بكلِّ مفازة وبكلِّ سَهْبٍ  
إلى كرمانٍ يحملن المنايا  
شواذب لم يصبن الثأر حتى  
ويشجرن العوالي السُّمرَ حنَّي  
غداة تتركن مصرعَ عبد ربِّ

مقالَةٌ جائر أحفى وجرارا  
عن العزّ المؤبّدِ أين صارا  
حروبٌ لا ينون لها غرارا  
وأوفى ذمّةً وأعزُّ جارا  
من الأمصارِ يقذفن المهارا  
بسابسٍ لا يرون لها منارا  
بكلِّ تنيّة يوقدن نارا  
رددناها مكلّمةً مرارا  
ترى فيها عن الأسلِ زورارا  
يثرن عليه من رهجٍ عصارا

(95) الأغاني ج 14 ص 267.

(96) الأغاني ج 14 ص 271.

(97) الأغاني ج 14 ص 287.

نـرؤي مـنهم الأَسـل الجـرار  
ولـم يـمك نومها إلا غـرار  
ومـن بالمـصر يـحتلـب العـشـارا  
ويـحمـمـين الحـقـائق والـذمـارا  
إذا سـار المـهـأبـب حـيـث سـارا  
عـدوهم لـقـد تـركـوا الـديـارا  
أصـابوا الأـمـن واجتـنبوا الفـرار  
تـشـبـب المـوت شـد لهـا الإزار  
يـرى فـي كـل مـبـهـمة مـنـارا  
بـدفعـك عـن مـحـارمـنا اخـتـيارا  
وفـجـر مـنـك أنـهـارا غـزارا

ويوم الزحف بالأهواز ظأنا  
فقرت أعينُ كانت حديثاً  
صنائعنا السوابغ والمذاكي  
فهنَّ يبحن كلَّ حمى عزيـز  
طُوال الأتُّ المتون يُصنَّ إلا  
فلولا الشَّيخ بالمِصْرين ينفِي  
ولكن قارع الأبطال حتى  
ومُبَهَمَةٌ يحيـد النـاس عنـها  
شِهَابٌ تنجـلي الظلماء عنـه  
بل الرحمن جارك إذ وهَّنا  
بـراك الله حـين بـراك بـخـرا

خرج العديل بن الفرخ يريد الحجاج، فلما صار ببابه حجبه الحاجب، فوثب عليه العديل وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش أكبر مني ولا أولى بهذا الباب، فنازعه الحاجب الكلام، فأحفظه وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول:

فـيـاب الفـتى الأزدـي بـالعـرف يـفـتـح  
إذا جـعلت أيـدي المـكـارم تـسـنـح  
وأخـرى عـلى الأعداء تـسـطـو وتـجـرح  
بـأن الغـنـى فـيـهم وشـيـكاً سـيـسـرح  
يُنـادونـهم وَالْحُرُّ بِالْحَرِّ يَفـرح  
فإن عطـاياهم عـلى النـاس تـنـفـح

لئن أرتج الحجاجُ بالبخل بـأبـه  
قتى لا يبالي الدهرَ ما قلَّ مـأله  
يـداه يـدُ بالعـرف تـنـهبُ ما حوت  
إذا ما أتاه المرمـلون تيقنوا  
أقام عـلى العـافـين حُـرَّاسَ بـأبـه  
هلموا إلي سـبب الأمير وعـرفـه

فقال له يزيد: عرضت بنا وخاطرت بدمك، وبالله لا يصل إليك وأنت في حيزي، فأمر له بخمسين ألف درهم وحمله على أفراس، وقال له الحق بعلياء نجد، واحذر أن تعلقك حبائل الحجاج، أو تحتجك حاجنه، وابعث إلي في كل عام، فلك علي مثل هذا فارتحل<sup>(98)</sup>

ولمسلم بن الوليد (صريع الغواني) قصيدة طويلة مدح بها داوود بن حاتم مطلعها:<sup>(99)</sup>

لا تدعُ بي الشوقَ إنِّي غيرَ معمودٍ      نَهَى النَّهَى عَن هَوَى المَهْرِيفِ الرَعادِيدِ  
يقول فيها:

إِلَى بَنِي حِاتِمِ أَدَى رَكَائِبِنَا      خَوْضُ الدُّجَى وَسُرى المَهْرِيفَةِ القُودِ  
تَطْوِي النَّهَارَ فَإِن لَيْلٌ تَحْمَطُهَا      بَاتَتْ تَحْمَطُ هَامَاتِ القَرادِيدِ  
مِثْلَ السَّمَامِ بَعِيدَاتِ المَقِيلِ إِذَا      أَلْقَى الهَجِيرُ يَدًا فِي كُلِّ صَخُودِ  
حَلَّتْ بِداوُدَ فَامْتَاخَتِ وَأَعْجَلَهَا      حَذْرُ النِّعَالِ عَلَى أَيْنِ وَتَحْرِيدِ  
أَعْطَى فَأَفْنَى المُنَى أَدْنَى عَطِيَّتِهِ      وَأَرْهَقَ الوَعْدَ نُجْجًا غَيْرَ مَنكَودِ  
وَاللَّهُ أَطْفَأَ نَارَ الحَرْبِ إِذْ سُعِرَتْ      شَرِقًا بِمُوقِدِهَا فِي العَرَبِ داوُدِ  
لَمْ يَأْتِ أَمْرًا وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَى حَدَثِ      إِلَّا أَعْيَنَ بِتَوْفِيْقٍ وَتَسْديدِ  
مُوحَّدُ الرَأْيِ تَنَشَّقُ الظُّنُونُ لَهُ      عَن كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمَعْقُودِ  
نُمنَى الأُمُورِ لَهُ مِنْ نَحْوِ أَوْجُهِهَا      وَإِن سَأَلَكَ سَبِيلًا غَيْرَ مَورُودِ  
وفيهما:

أَلِ المَهَّالِبِ قَومٌ لا يَزَالُ لَهُم      رِقُّ الصَّريحِ وَأَسْلابُ المَداوِيدِ  
مُطَفَّقَ رُونَ تُصِيبُ الحَرْبُ أَنفُسَهُم      إِذَا الفِيارُ تَمَطَّطَ بِالمَحايدِ  
نَجَلٌ مَناجيبُ أَلَمِ يَعْدَمُ تِلادُهُم      فَتَى يُرَجِّجِي لِنَقْضِ أو لِنُوكِيدِ  
قَومٌ إِذَا هَدَاةٌ شامَتِ سُبُوفَهُم      فَإِنَّهَا عَقْلُ الكَومِ المَقاحِيدِ  
نَفْسِي فِي داوُدِكَ يا داوُدُ إِذْ عَلَقَتِ      أَيْدِي الرَدَى بِنِواصِي الضُّمَرِ القُودِ  
داوَيْتَ مِنْ دائِها كَرْمانَ وَإِنْتَصَفَتِ      بِكَ المَنُونُ لِأَقْوامِ مَجاهِدِ  
مَلَأْنِها فَزَعًا أَخْلَى مَعاقِلَها      مِنْ كُلِّ أَبْلاخِ سَامي الطَّرْفِ صِنْدِيدِ

(98) الأغاني ج 22 ص 332.

(99) ديوانه ص 17 وما بعدها.

ألقى إليك الأفاصي بالمقاليد  
بها الردى بين تليين وتشدديد  
بالخيال تتردي بأبطال مناجيد  
خوف يعارضه في كل أخدود  
وأنت تصب المنايا غير منشود

لما نزلت على أدنى بلادهم  
لمسهم بيد اللغف ومُتصلي  
أتيتهم من وراء الأمان مُطّلعاً  
وطار في إثر من طار الفرار به  
فاتوا الردى وظبات الموت تنشدهم  
وفيها:

عليك من طالب وترأ ومحدود  
عنه ثلاث ومثني بالمواحيد  
والجود بالنفس أقصى غاية الجود  
لم يخطها القصد من أسياف داود

يوم استضيت سجات طوائفها  
ناهضتهم ذائد الإسلام تقرعهم  
تجود بالنفس إذ أنت الضنين بها  
تلك الأزارق إذ ضلّ الدليل بها  
ويختمها بقوله:

عَوَدتْ نَفْسَكَ عَادَاتِ خُلِقْتَ لَهَا صِدْقَ الْحَدِيثِ وَإِنجَازَ الْمَوَاعِيدِ

### ما قيل فيهم نثرا:

وكما مدحوا شعرا مدحوا نثرا؛ إذ قال فيهم الخطباء، وكتب عنهم الكتاب. ومما قيل فيهم نثرا ما يلي:

إن المهلب بن أبي صفرة وأولاده من الشجاعة والنجدة بالموضع المعروف، إلا أنّ المغيرة بن المهلب من بينهم كان أشدّ تمكنا، وكان المهلب يقول: ما شهد معي حربا إلا رأيت البشرى في وجهه، وكان أشدّ ما تكون الحرب أشدّ ما يكون تبسما، وكان إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس على قربوس السرج، وحمل من تحتها فبراها بسيفه، وأثر في أصحابها. (100)

وقيل للفرزدق: إنك لتمدح آل المهلب وتحبهم بعد أن لم تكن على ذلك. فقال: أما علمت أن إعطاء اللّٰه يفتح اللّٰه ويغرس الهوى؟ (101)

وَرَوَى: الْحَسَنُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ:

(100) التذكرة الحمدونية ج 2 ص 412.  
(101) محاضرات الأدباء ج 1 ص 660.

مَا رَأَيْتُ أَمِيرًا قَطُّ أَفْضَلَ وَلَا أَسْخَى وَلَا أَشْجَعَ مِنَ الْمُهَلَّبِ، وَلَا أَبْعَدَ مِمَّا يَكْرَهُ، وَلَا أَقْرَبَ مِمَّا يُحِبُّ. (102)

ولما ظهر المهلب بن أبي صفرة على الخوارج أرسل كعب بن معدان الأشقري ومرة بن تليد الأزدي إلى الحجاج؛ ليعلماه بالفتح، فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشد:

يا حفص إنني عداني عنكم السفر      وقد سهرت فأزدي نومي السهر

فقال له الحجاج: أشاعر أم خطيب؟ فقال: كلاهما، ثم أنشده القصيدة، ثم أقبل عليه فقال: خبرني عن بني المهلب، فقال: المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، وجوادهم وسخيم قببصة، ولا يستحيي الشجاع أن يفر من مدرك، وعبد الملك سم نافع، وحبیب موت ذعاف، ومحمد ليث غاب، وكفى بالفضل نجدة، قال: فكيف خلفت جماعة الناس؟ قال: قد خلفتهم بخير، قد أدركوا ما أملوا، وأمنوا ما خافوا، قال: فكيف كان بنو المهلب فيهم؟ قال: كانوا حماة للسرْح نهاراً، فإذا ألبوا فرسان للبيات، قال: فأيهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها، قال: فكيف كنتم أنتم وعدوكم؟ قال: كنا إذا أخذنا عفونا وأخذوا عفوهم ينسنا منهم، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم، فقال الحجاج: (إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) كيف أفلتكم قطري؟ قال: كادنا ببعض ما كنا نكیده، قال: فهلا اتبعتموه؟ قال: كان الحد عندنا أثر من الفل. قال: كيف كان لكم المهلب وكنتم له؟ قال: كان لنا منه شفقة الوالد، وله منا بر الولد، قال: فكيف اغتباط الناس؟ قال: فشا فيهم الأمن، وشملهم النفل. قال: أكنت أعددت لي هذا الجواب؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: هكذا والله يكون الرجال، المهلب كان أعلم بك حين وجّهك.

وفي "نوادير القالي" أن الحجاج قال له: كيف كان محاربة المهلب للقوم؟ قال: كان إذا وجد الفرصة سار كما يسور الليث، وإذا ذهمت الطحمة راغ كما يروغ الثعلب، وإذا مادّه القوم صبر صبر الدهر. وأنه قال له: كيف أفلتكم قطري؟ قال: كادنا ببعض ما كدناه به، والأجل أحسن جنة، وأنفذ عدة. قال: وكيف اتبعتم عبد ربه وتركتموه؟ قال: آثرنا الحد على الفل، وكانت سلامة الجند أحب إلينا من شجب العدو. (103)

قال قتبية لنهار بن توسعة: لست تقول فينا كما تقول في آل المهلب! قال: إنهم والله كانوا أهدافاً للشعر، قال: هذا والله أشعر مما قلت فيهم. (104)

(102) سير أعلام النبلاء ج4 ص384، وفي مختصر تاريخ دمشق (نحب) و(نكره).

(103) المحاضرات في اللغة والأدب ص253.

(104) البصائر والذخائر، ج2، ص200.

وثلاثة سادوا في نسق: المهلب بن أبي صفرة، وابنه يزيد، وابن يزيد مخلد وهو صبي. (105)

تغدى سليمان عند يزيد بن المهلب، فقيل له: صف لنا أحسن ما كان في منزله، فقال: رأيت غلمانة يخدمون بالإشارة دون القول. (106)

وبلغنا عن المدائني أنه قال: ليس السؤدد بالشرف، وإنما ساد الأحنف بن قيس بطلمه، وحضين بن المنذر برأيه، ومالك بن مسمع بمحبته في العامة، وسويد بن منجوف بعطفه على أرامل قومه، وساد المهلب بن أبي صفرة بجميع هذه الخصال. (107)

ومنهم يزيد بن المهلب قيل كان هشام بن حسان إذا ذكره قال: كانت السفن تجري في بحر جوده. (108)

ورجل حليف اللسان: إذا كان حديد اللسان فصيحاً، يقال: ما أحلف لسانه، ومنه حديث الحجاج: أنه أتى بيزيد بن المهلب يرسف في حديد؛ فأقبل يخطر بيده، فغاظ ذلك الحجاج، فقال:

جَمِيلُ الْمُحَيَّا بَخْتَرِي إِذَا مَشَى

وقد ولى عنه، فالتفت إليه، فقال:

وفي الدَّرْعِ ضَخْمُ الْمُنْكَبَيْنِ شِنَاقُ

فقال الحجاج: قتله الله ما أمضى جَنَانَهُ وأُحْلَفَ لسانه. (109)

ومر يزيد بن المهلب في طريق البصرة بأعرابية، فأهدت إليه عنزاً فَقَبِلَهَا، وقال لابنه معاوية: معاوية، ما عندك من نفقة؟ قال: ثمانمائة درهم. قال: ادفعها إليها. قال: إنها لا تعرفك ويرضيها اليسير. قال: إن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، وإن كان يرضيها اليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير. (110)

قال رجل ليزيد بن المهلب: قد عظم قدرك من أن يستعان بك، أو يستعان عليك؛ ولست تفعل شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه وهو أصغر منك، وليس العجب من أن تفعل، وإنما العجب من ألا تفعل. (111)

(105) المصدر السابق ج5 ص42.

(106) المصدر السابق ج7 ص70.

(107) المحاسن والمساوي ج1 ص97.

(108) ثمرات الأوراق، ص45.

(109) العباب الزاخر، ج1، ص391.

(110) العقد الفريد ج1، ص257.

(111) كتاب الصناعتين، ص405.

## القيم الأخلاقية والخصائص الفنية في أدبهم:

إن المتأمل في أقوال المهالبة يجد أنها تنطلق من أخلاق عالية، أهمها: الشجاعة والإقدام، والجود، والحزم، والصدق، والتواضع، والترفع عن الدنيا، والحلم، والعفو. ومن الخصائص الفنية التي اتسمت بها تلك النصوص في مجملها:

صدق العاطفة: فأغلب ما ذكر في أعلاه حكم نتجت عن تجارب شخصية، واستفادةً من تجارب السابقين.

عمقها: إذ لم تكن تتبع من مواقف عابرة لا تلبث أن تتغير وتبدل.

استمراريتها: فهي تعبر عن مشاعر إنسانية خالدة.

سموها: وهذا واضح من الأخلاق الحميدة التي تتبع منها تلك الأقوال.

أما الأفكار والمعاني فتتسم بالموضوعية، فهي نابعة من الواقع والبيئة والتجربة لا من الخيال.

عقلية: فالنصوص يغلب عليها الطابع العقلي لا العاطفي.

إيجابية: تعالج مشكلات وتوجه إلى حلها.

النصوص السابقة لا تكاد تخلو من الخيال، على الرغم من أن كثيرا منها أشبه بالحكم التي هي بالأسلوب العلمي أشبه؛ فأنت ترى الصور البلاغية بأنواعها ماثورة فيها، منتشرة انتشار النور في شجر الربيع.

وفي تلك النصوص الأسلوبان الإنشائي، والخبري، وهما فيها يتصفان بجزالة الألفاظ، ووضوح العبارات، والخلو من التعقيد، ومن اللحن، ومن الغريب.



## الخاتمة:

بعد هذه الجولة الممتعة في رياض أدب هذه الأسرة العمانية العريقة، التي ملأت سمع من عاصرها وبصره، وتركت جواهر منظومة ومنثورة، من صوغها ومن صوغ الشعراء والأدباء الذين عاصروا ظهور نجمها في سماء المسلمين حقبة من الدهر، يجد الباحث نفسه أنه لم يف بما وعد به من جمع ما قالوه؛ لكثرة ما وجد، ولضيق الوقت، وإنما سلط الأضواء على جانب مما قيل فيهم شعرا ونثرا. والاطلاع على أدب المهالبة يبين بوضوح قدرهم ومنزلتهم السامقة التي جعلتهم مضرب المثل، ومحط الرحال، ومعقد الآمال، ويوضح كيف يكون القادة والرؤساء أخلاقا وحكمة وفصاحة وبلاغة وعلو همة وبعد نظر. ويدعو الباحث الباحثين إلى استقصاء أدب المهالبة وأخبارهم، ودراسته وتمحيصه؛ لتستفيد منه الأجيال، وتتبع خطى آباءها الأشبال، وأهل عمان بذلك أولى، وبه أعرف، كما قال الشاعر:

وهل ينبت الخطيُّ إلا وشيجه      وتغرس إلا في منابتها النخل

## المصادر والمراجع:

1. ابن حجة الحموي، أبو بكر بن علي: ثمرات الأوراق في المحاضرات (مطبوع بهامش المستطرف في كل فن مستظرف للشهاب الأبيشي)، د.ط، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، د.ت. (من الموسوعة الشاملة)
2. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي: جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م
3. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: ديوان ابن دريد، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الانصاري: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ط1، تح: روحية النحاس ورياض عبد الحميد مراد ومحمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، 1402 هـ - 1984م.

5. ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر: لباب الآداب، ط2، تح: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، 1407 هـ - 1987م.
6. الأبي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي: نثر الدر في المحاضرات، تح: خالد عبد الغني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ / 2004م.
7. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن داود: الزهرة، تح: إبراهيم السامرائي، ط2، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1406هـ / 1985م.
8. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد: الأغاني، تح: سمير جابر، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، (من الموسوعة الشاملة)
9. الأنصاري، مسلم بن الوليد شرح ديوان صريع الغواني، ط3، تح: سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت.
10. البصري، أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن: الحماسة البصرية، تح: مختار الدين أحمد، د.ط، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.
11. البغدادي، أبو المعالي محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون: التذكرة الحمدونية، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1417 هـ.
12. البيهقي، إبراهيم بن محمد: المحاسن والمساوي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت.
13. التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد بن العباس: البصائر والذخائر، ط1، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، لبنان، 1408هـ - 1988م.
14. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: التمثيل والمحاضرة، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، دار العربية للكتاب، 1401 هـ - 1981م. (من الموسوعة الشاملة)
15. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: لباب الآداب، تح: أحمد حسن ليج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417 هـ - 1997م.

16. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل: من غاب عنه المطرب، د.ط، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1309هـ.

17. الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، د.ط، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.

18. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ.

19. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: المحاسن والأضداد، د.ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 1423 هـ.

20. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب: رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، د.ط، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1384 هـ - 1964م.

21. الجريري النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تح: عبد الكريم سامي الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م.

22. الحصري القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن علي: زهر الآداب وثمر الألباب، تح: يوسف علي الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م.

23. الخالديان، أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين، تح: السيد محمد يوسف د.ط، د.نا، القاهرة، مصر، د.ت.

24. الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، 1405 هـ / 1985 م.

25. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط1، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، 1420 هـ.

26. الرقي، ربيعة بن ثابت بن لجأ: ديوان ربيعة الرقي، د. بيانات. (من الموسوعة الشاملة)

27. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، مايو 2002 م.

28. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر: ربيع الأبرار ونصوص الأختار، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، 1412 هـ.

29. الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن: العباب الزاخر واللباب الفاخر، د. بيانات. (من الموسوعة الشاملة)

30. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله: أخبار أبي تمام، تح: بياتريس جريندلر، د.ط، المكتبة العربية، د.ت.

31. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى: أدب الكتاب، تح: محمد بهجة الأثري، د.ط، المطبعة السلفية، مصر، والمكتبة العربية، بغداد، العراق، 1341 هـ.

32. العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد: المصون في الأدب، تح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مطبعة حكومة الكويت، دولة الكويت، 1984 م.

33. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، د.ط، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1419 هـ.

34. العقد الفريد، ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1404 هـ.

35. الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب: ديوان الفرزدق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407 هـ / 1987 م.

36. القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: ذيل الأمالي، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

37. القرشي، عباس بن محمد بن مسعود: حماسة القرشي، تح: خير الدين محمود قبلوي، د.ط، وزارة الثقافة، دمشق، الجمهورية العربية السورية، 1995 م.

38. القرطبي، أبو عمر يوسف ابن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس، تح: محمد مرسي الخولي، د. ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.

39. المغربي، شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة: ديوان الصبابة، د. بيانات (من الموسوعة الشاملة)

40. الوشاء، أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى: الموشى أو الظرف والظرفاء، تح: كمال مصطفى، ط2، مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر، 1371هـ - 1953م.

41. الوطواط، أبو إسحق محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي: غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة، تح: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429 هـ/ 2008م.

42. اليوسي، أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد المحاضرات في اللغة والأدب، د. ط، د. نا، د. ت. (من الموسوعة الشاملة).